بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الجامعات

جامعة الجزائر

معهد علم النفس وعلوم التربية

الدراسات العليا

الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري

رسالة ماجستير في علوم التربية

اعداد الطالب

بن مرسلي حسين

اشراف

الدكتور بلعربي الطيب

العام الدراسي 1990 1991

إهداء

، الى الوالدة الكريمة .

الى الطليعة المؤمنة ، العاملة في صمت وهدوء

الى المع لم المتميز في طريق البحث عن الحقيقة .

الباحث
****

شكر وتقدير

من الواجب علي وقد أتممت عملي هذا

أن أتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ

الفاضل الطيب بلعربي الذي تابع

معي رحلة البحث منذ البداية

حتى الاتمام بصبر وهدوء وفعالية

كما لا أنسى كل من مد لي يد

المساعدة من قريب أو بعيد لانجاز

هذا البحث

الباحث

مقدمــــة :

- شكل المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر تحديا تاريخيا ، وخطرا كبيرا على المجتمع الجزائري ، وعلى حضارته لكونه كان يهدف في أسسه ووسائله وغاياته الى القضاء على المجتمع الجزائري كمجتمع له هويته المتميزة ، وانتماؤه الحضاري المستقل .

- وفي ظل هذه الظروف وجد المجتمع الجزائري أمام خيار صعب ، اما الخضوع لهذا المشروع والذوبان في حضارة غيره ، أو المقاومة ومواجهة التحدي لدرء الخطر المسجل ، وكان له هذا الاخير من خلال المشروع التربوي الاصلاحي لعبد الحميد بن باديس ، الذي هو موضوع البحث .

- وطبقا لذلك يتم معالجة الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري من خلال تقسيم متن الرسالة الى بابين ، يسلط الضوء في الباب الاول على المشروع الاستعماري خاصة الجانب التربوي منه قصد الاحاطة بنقاط التحدي فيه ، والتعرف على أسسه ، ووسائله وأهدافه ، ثم الانتقال في الجزء الثاني من الباب المذكور الى تحليل واقع الاشكال التربوي الذي عالجه ابن باديس .

- أما الباب الثاني فخصص لبحث المشروع التربوي الباديسي من خلال التطرق لشخصية ابن باديس التربوية ، والجذور التاريخية للمشروع وأسسه ووسائله وأبعاده المختلفة خاصة منها التربوية وغايتنا من ذلك ، هو كشف وتحديد الرد التاريخي في المشروع الباديسي على المشروع الاستعماري .

- واتبعنا في انجاز ما ورد ذكره ، المنهج التاريخي لكونه المنهج الذي يستخدم عادة في دراسة الحالات التي

أصبحت في ذمة التاريخ[1] ، مثل موضوعنا هذا ، بحيث

أن تم تكييفه مع خصوصية الدراسة وذلك من خلال استعادة

وتحليل حيثيات الحدث التاريخي الذي يراد دراسته ، والمتمثل

في المشروع النادي وردة على المشروع الاستيطاني، مع مراعاة شروط

هذا المنهج وهي ، الموضوعية ، والبعد عن التحيز للأحداث

التاريخية ، والاعتماد على المراجع والتمحيص في المعلومات[2]،

إلى جانب الاعتماد على عنصر التحليل كأداة أساسية ومناسبة،

تمكن من كشف حقيقة الحدث .

---

(1) أنظر : محمد علي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله
المرشد في كتابة الابحاث . ص: 19 .

(2) أنظر ــ محمد علي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله
المرشد في كتابة الابحاث . ص: 20 .

اشكاليــة :

– تعــرض العالــم الاســلامــي فــي بدايــة القــرن التاســع عشــر (19) لهجمــة استعماريــة غربيــة قــادها كل مــن فرنســا وبريطــانيــا ، حيــث تميــزت هــذه الهجمــة عــن الهجمات الصليبية السابقــة بالتنظــيم لكونهــا ظهــرت فــي شكــل مــؤسســة منظمــة تحمــل مشــروعــا استعماريــا مبنيا علــى أســس ودراســات علميــة وتقنيــات ووســائــل متطــورة ، ذات أهــداف خاصــة .

– ولــم تقــف دول العالــم الاســلامــي أمــام هــذه الهجمــة مكتوفــة الايّــدي بــل قــامــت بالــرد ، وبوســائــل مختلفــة ، منهــا الــرد العسكــري الذي تجســد على مستــوى الجزائــر في الثــورات التي قــادهــا الزعمــاء الجزائــريون ضــد الاستعمــار الفــرنســي منــذ سنــة 1830م مثــل ثــورة " الامّــير عبــد القــادر الجــزائــري (1832 – 1848م) وثــورة " بوعمــامــة " (1850 – 1858م) وثــورة " المقــراني "(1871م)[1] .

– كمــا تجلــى الــرد المذكــور علــى مستــوى بعــض الــدول العربيــة الاســلامية فــي ثــورة الريــف بالمغــرب (1913 – 1925م)[2] وفي ثــورة " عمــر المختــار " بليبيــا (1911 – 1932).[3]

ولــم تكتــف الــدول الاســلاميــة فــي ردهــا على المشــروع الاستعمــاري بالاسّلــوب العسكــري ، فحســب بل سانــدته بنشــاطــات سيــاسيــة وثقــافيــة موازيــة أو منفــردة ، منهــا الــردود التربويــة على المشــروع المذكــور الــذي هــدف فــي جوهــره الــى تدمــير المؤسسة

---

(1) انظــر : أبو القاسم سعد الله – مدارس الثقافة العربيــة . . . مجلة الثقافــة العدد : 79 ص: 157 – 168

(2) عــلال الفاسي – الحركــات الاستقــلا لية في المغرب العربي . ص: 105 – 119 .

(3) أحمــد محمــود – عمــر المختــار . . . ص : 119 – 120 .

التربوية الأصلية في المجتمعات الاسلامية ، واستبدالها بمنظومة تربوية غربية استعمارية تخدم أهدافه التغريبية الاستغلالية . وقد تجلت هذه الردود في ما تم في الهند بانشاء جامعة " عليكرة " على يد " السيد أحمد خان " (سنة 1861)[1] ، وفي ظهور حركة الاخوان المسلمين في مصر (سنة 1928) على يد الشيخ " حسن البنا " [2] وفي المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس في الجزائر (سنة 1913 — 1940) ، الذي هو موضوع بحثنا هذا .

— وبالرغم من أن ابن باديس كشخصية علمية وكظاهرة متميزة قد تم تناوله بالدراسة من طرف عدد من الباحثين والكتاب ، الا أن دراساتهم وكتاباتهم تبقى غير كافية مقارنة مع أهمية هذه الشخصية الجزائرية . ومن هذه الدراسات تلك التي تناولت بالبحث الجهد التربوي لابن باديس والتي قام بها " رابح تركي " تحت عنوان " عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم "[3] ودراسة " علي علواش " التي تحمل عنوان " حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الاصلاحية "[4] وهما دراستان تربويتان ركزتا على الجهد التربوي الباديسي ، حيث تمحور هدفهما على جمع أكبر عدد من المعلومات حول هذا الجهد ، والتعريف بشخصية ابن باديس التربوية ، بالاضافة الى الدراستين المذكورتين هناك دراسات أخرى ركزت على الجانب الاخلاقي لابن باديس ، ومنها دراسة " بوعلام وباس " ، " الاخلاق عند ابن باديس بين النظرية والتطبيق "[5] ، والتي تطرق فيها

---

(1) أنظر : احمد أمين . زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ص 130 .
(2) أنظر : السعيد فحص . حسن البنا - مؤسس حركة الاخوان المسلمين - ص 59 - 67
(3) أنظر : رابح تركي — عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده ...
(4) علي علواش — حركة ابن باديس التربوية واهدافها الاصلاحية
(5) بوعلام وباس — الاخلاق عند ابن باديس بين النظرية والتطبيق

صاحبها الى توضيح الجانب الاخلاقي والتعريف به . أمـا الكتابات الاخرى فهي كثيرة ،منها كتاب " علي مراد " " I Bn Badis commentateur du coran — ابن باديس مفسر القرآن "(1)

وكتاب " حسن عبد الرحمن سلوادي "، " عبد الحميد بن باديس مفسرا "(2)، وكذا كتاب " محمود قاسم " " الامام ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية "(3) وغيرهما من الكتب التي تناولت بالدراسة شخصية ابن باديس وأعماله المختلفة . ومما يلاحظ على هذه الدراسات والكتب أن هدفها كان واحدا وهو توفير المعلومات حول شخص ابن باديس ، وأعماله التربوية والاخلاقية والتفسيرية ، وهذا يعني أنها ركزت في اجابتها على من هو ابن باديس ،وما هي أعماله دون محاولة الاجابة على :

1 — لماذا كان ابن باديس شخصية تربوية اصلاحية ؟

2 — لماذا وجدت حركته التربوية الاصلاحية ؟

— وللاجابة على السؤالين المطروحين حاولنا التيمام بالبحث موضوع الدراسة ،انطلاقا من كون حركة ابن باديس جاءت في مرحلة جد صعبة ،بالنسبة للمجتمع الجزائري ، حاول فيها الاستعمار بمشروعه التدميري ،طمس هوية هذا المجتمع وتفكيك بنائه الاساسي ،بغرض اخضاعه لمصالحه الخاصة ،ويشكل عمل ابن باديس موقفا خاصا من هذا التحدي الاستعماري ، ولكشف هذا الموقف اخترنا اطارا معينا لهذه الدراسة ،وهو الصراع الحضاري بين الامم ،فتكون مشكلة بحثنا بذلك هي تحديد الموقع التاريخي للمشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس ،أي موقعه من الصراع الحضاري العميق بين المجتمع الاسلامي ،والمجتمع الغربي ،هذا الصراع

---

(1) Ali merad - I Bn Badis commentateur du coran

(2) حسن عبد الرحمن سلوادي — عبد الحميد بن باديس مفسرا

(3) محمود قاسم — الامام ابن باديس — الزعيم الروحي . . .

الذي بدأت أطواره الجديدة تبرز مع الهجمة الاستعمارية الغربية الحديثة على دول العالم الاسلامي التي يعتبر المجتمع الجزائري جزءا لا يتجزأ منها ، هذه الهجمة التي مثلت تحديا تاريخيا لوجوده كمجتمع تاريخي ذي حضارة متميزة بخصائصها الذاتية . فما هي أبعاد وحقيقة هذا التحدي ، وما هو موقف المشروع التربوي الباديسي منه ؟

— أما عن أهمية هذا البحث ، فتكمن في اعتقادنا ، بأهمية دراسة ماضي المجتمع بالنسبة لحاضره ومستقبله ، لأنّ بنية المجتمع في الحاضر هي تحصيل لأحداث ولظواهر الماضي . وكما ذكرنا سابقا أن الهجمة الاستعمارية التي قامت بها فرنسا ضد الجزائر ، وردود هذه الاخيرة على هذه الهجمة ، تحتل حيزا زمنيا كبيرا من ماضي المجتمع الجزائري ، خاصة في علاقته بثورة التحرير ، كحدث له وزنه التاريخي وكذا علاقته بمجتمع ما بعد الاستقلال . وبحكم اختصاصنا (علوم التربية) فان محاولة تسليط الضوء على المحاولة التربوية الاصلاحية لابن باديس وعلاقتها بالمشروع الفرنسي الاستعماري تندرج في هذا الاطار ونهدف من وراء ذلك الى تحديد نقاط التحدي الاستعماري ، ومقولات الرد في المشروع التربوي الباديسي ، الذي من نتائجه كشف حقائق الماضي ، واعادة ترتيب الأولويات في هذا المجتمع خاصة فيما يتعلق بدور العلماء المسلمين ، وعلى رأسهم ابن باديس في صياغة مواقف المجتمع الحديث ، وكذا تأثيرهم على بنيته الحالية ، وهذا ما يساعد على ازالة الغموض والخلط الذي يكتنف هذه الشخصيات وكذا تفنيد بعض المزاعم المتغربة التي تستهدف دائما من وراء كتاباتها تقزيم ، وتهميش دور العلماء المسلمين في تاريخ الجزائر .

تحديد المفاهيم

- الغاية من تحديد المفاهيم في أى بحث اجتماعي هي بناء نوع من المعايير والمقاييس الضرورية، التي تساعد على ضبط سير البحث، وعدم انحرافه عن مقاصده . بالاضافة الى تعدد مفاهيم مصطلح واحد باختلاف العلماء، والمدارس العلمية، وباختلاف الزمان والمكان . فلهذا يكون تحديد المفهوم بمثابة مفتاح لقراءة البحث وفهم نتائجه ودلالاتها .[1] والمفاهيم التي وجدنا من الضروري تحديدها، هي :

- أولا : مفهوم " التربية " ،لكونه استخدم من طرف المستعمر للسيطرة وطمس الهوية الجزائرية ، واستخدم أيضا من طرف عبد الحميد بن باديس - موضوع بحثنا هذا - لمجابهة المحاولات الاستعمارية المقدمة في شكل مغشوش باسم التربية .

- ثانيا : مفهوم " التحدى التاريخي " الذى هو المفهوم الاساسي في الباب الأول من البحث، المتمثل في المشروع الاستعمارى الفرنسي .

- ثالثا : مفهوم " الرد التاريخي " الذى هو مفهوم أساسي في الباب الثاني من البحث ،أى المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس، كرد تاريخي على تحدى المشروع الاستعمارى للمجتمع الجزائرى .

---

(1) انظر : - Walter - A Borger & Meridith - D Gall . Educational Research -

1 — التربيـــة :

— كلمـة التربيـة في اللغـة العربيـة يقابلهـا في اللغتـين الفرنسيـة والانجليزية ،كلمـة " Education " ولقد جاء فـي " لسـان العـرب " أن أصـل هذه الكلمـة " ربب " ومنه اشتـق معنى " رب ولـده ، والصبـي يربـه ... ومن اللحيانـي بمعنـى رباه .. . مثـلا — لك نعمـة تربهـا أي تحفظهـا وتراعيهـا وتربيهـا ،كمـا يربـي الرجـل ولـده "(1)

— وجاء في معجـم العلوم الاجتماعيـة أن هذا المصطلـح يـدل " فـي أكثـر استعمـالاتـه شيوعـا علـى عمليـة التنشئـة خاصـة للصغـار ، فكـريا وخلقيـا ،وتنميـة قـدراتهـم العقليـة داخـل المدرسـة وغيرهـا من المنظمـات والمؤسسـات "(2) .أما فـي معجـم " لاروس - grande larousse " فقـد ورد أن " التربيـة هي الفعـلُ التشكيـل والبنـاء لشخـص ما وبالاخـص الطفـل أو المراهق وكـذا تطـوير مـيزاتـه الجسميـة ،العقليـة ،والاخـلاقيـة ،وجعلـه يكتسـب عـادات ومبـادئ في سيرتـه المستـديمـة ... "(3) . واذا كانت كلمـة التربيـة في المستـوى اللغـوي الاصطلاحـي تعـرف علـى أنهـا عمليـة التنشئـة للافـراد وتنميتهـم ورعـايتهـم ، فـان هذا التحديـد يبقـى عامًا ،وغـير كاف لانّ التربيـة واقعيـا تصبـح عمليـة أخـرى ، يعبر عنهـا بمفهـوم معـين يحمـل ملامـح واقعـه من مبادئ ،ووسـائل ،وأهـداف ،أو ما يمكـن أنْ نسميـه المحتـوى الثقـافـي لمجتمـع معـين .

— أما في بحثنـا هـذا ،فتتمثـل أهميـة مفهـوم التربيـة

---

(1) ابن منظـور — لسان العرب — المجلـد الاول — ص : 386 .
(2) الشعبـة القوميـة للتربيـة والعلوم الثقافيـة — معجم العلوم . .ص 139 .
(3) grande larousse de la langue francaise _ Tome II - p: 1490 -

في علاقته بالواقع الاجتماعي ، وبالضبط بالمحتوى الحضاري لواقع ، أو لمجتمع معين . اذ لا يمكن اعتبار التربية أداة محايدة عندما يتعلق الامر بوظيفتها داخل اطار حضارة مجتمع معين ، ولو استعرضنا نبذة من تاريخ المجتمعات السابقة كالمجتمع اليهودي القديم ، والصيني ، واليوناني ـ الروماني ، واللاتيني ـ المسيحي والاسلامي [1] لوجدنا أن تربية مجتمع ، هي وجه صادق لملامح حضارته .

ـ نخلص مما سبق ذكره أن جميع التعريفات المختلفة للتربية ، صحيحة ، لكنها مرتبطة بمنظور وفلسفة معينة ، أو واقع معين ، مما يجعل مدى صلاحيتها العلمية والعملية ، مرتبطا باطارها الفلسفي والواقعي ، وأي استعمال أو توظيف لهذا المفهوم خارج هذا الاطار يمكن أن يجعله غير فعال . وفيما يتعلق بدراستنا ، وجدنا أن احسن مفهوم للتربية يمكن أن يتوافق مع بحثنا هذا ، هو ما اورده " مالك بن نبي " حين عرف التربية قائلا : " فليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع ، على عالم الاشخاص وعالم الافكار ، وعالم الاشياء "[2] وهذا يعني أن الفهم الصحيح للتربية ليس ذلك التحديد الجامد لها ، أو انها تلك المقولات النظرية الثابتة التي ليست لها أية علاقة تفاعل مع معطيات الواقع ، التي هي الانسان ، الفكرة ، والمادة ، ولكنها كما يواصل " بن نبي " وسيلة فعالة لتغيير الانسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه ، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الاحسن دائما ، وكيف يكوّن معهم شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه في التاريخ "[3]

---

(1) عبد الله عبد الدائم ـ تاريخ التربية ـ ص : 18 ـ 68 .
(2) مالك بن نبي ـ ميلاد مجتمع ـ شبكة العلاقات الاجتماعية . ص: 93 .
(3) مالك بن نبي ـ ميلاد مجتمع . . . ص : 93 .

— اذن فالتربية هي تلك الوسيلة ، ذات الوظيفة التغييرية الرامية الى توفير شروط بناء حضارة ، وشروط استمرارها انطلاقا من بناء الانسان الفعال ، وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية الضرورية التي تعتبر اللبنة الأولى في بناء المجتمع والحضارة ، والتي تمكنه من أن يتحرك ، وفق قوانين التاريخ ، ليجد نفسه في محور قيادة العالم ، وليس على هامش التاريخ بعيدا عن القيادة الحضارية للانسانية . فمفهوم التربية كما نراه ، هو الوسيلة الفعالة في يد المجتمع في بناء حضارته ، والتي تمكنه من بناء الانسان المتحضر ، وبناء شروط الحضارة التي أساسها شبكة العلاقات الاجتماعية . فالمشروع الاستعماري اعتمد على التربية لبسط نفوذ نموذجه الحضاري الغربي وتحقيق غاياته الاستغلالية والقضاء على النموذج الحضاري الاسلامي ، الذي ينافسه ويصارعه في قيادة العالم والسيطرة عليه . والمشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس ، اعتمد على التربية كأداة فعالة لرد هجمة الاستعمار الفرنسي وذلك من خلال اعادة بناء المجتمع الجزائري واعادة الفعالية لنموذجه الحضاري الاسلامي وهنا كانت التربية في نفس الوقت أداة بناء وصراع حضاري .

2 — التحدي التاريخي :

— تعني كلمة تحدي في اللغة العربية ، المباراة والمنازعة ، كما ورد في لسان العرب : " تحديت فلانا اذا باريته ، في فعل ، ونازعته في الغلبة . . . وتحدى الرجل ، تعمده ، وباراه ، ونازعه الغلبة . . . " [1] ورغم أن هذه الكلمة حسب اطلاعنا ليست موضوعا للبحث الاجتماعي

---

(1) ابن منظور — لسان العرب — المجلد الثامن عشر — ص : 173

– لكن ورودها في نظرية " أرنولد توينبي-A Rnold-Trinby " جعل منها مفهوما متميزا ، ذا دلالة علمية وهذا من خلال تفسيره الذي قدمه بشأن ظهور الحضارات " على أنها نتيجة استجابة لتحد صادر اما عن البيئة المادية أو الوسط البشري أو كليهما . . . " [1] وبالتالي يصبح التحدى هو استفزاز يستهدف وجود المجتمع ويجبره على التحرك لمواجهة الخطر.

– أما عن مفهوم التحدى في بحثنا ، فهو تحدى تاريخي ، من حيث أن التاريخ هنا هو وظيفة للمجتمع التاريخي الذى هو ، " الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بانتاج وسائل التغيير ، مع علمها بالهدف الذى تسعى اليه من وراء هذا التغيير ." [2] فيصبح التحدى هو تحد لمجتمع تاريخي ، وبصورة أدق وأوضح ، هو عمل ونشاط المجتمع الفرنسي متمثلا في مشروعه الاستعمارى الذى حاكه خصيصا للمجتمع الجزائرى ، كتحد لوجوده كمجتمع تاريخي أيضا .

3 – <u>الرد التاريخي :</u>

– معنى كلمة الرد في اللغة العربية ، الاجابة مثل القول : " سلم فرد عليه ، أى أجابه " [3] وهذه الكلمة مثل سابقتها – التحدى – ليست موضوع ذا شأن في البحث الاجتماعي ، الا ما أورده " آرنولد توينبي "في تفسيرة الذى ذكرناه عن نشأة الحضارات ، من حيث أن التحدى الذى

(1) أرنولد توينبي – مختصر دراسة التاريخ . . . ص : 2
(2) مالك بن نبي – ميلاد مجتمع . . . ص : 15
(3) ابن منظور – لسان العرب – الجزء الرابع – ص : 154

يتقدم لجماعة معينة ، اذا كان مناسبا وفعالا لابد وأن يقابل بتحد مضاد من طرف هذه الجماعة . وبهذا يكتمل قانون " توينبي " الذي ، سماه " قانون التحدي والاستجابة "[1]، لكن هذه الاستجابة أو الرد على التحدى ليست رد فعل الي او ما يسمى بالفرنسية " Reflexe " ، وانما هي جواب ورد أي " Reaction "[2] لأن الرد هنا يصدر عن ادراك وتعقل للموقف ثم هو اجابة واعية وهادفة .

— ونقصد بالرد التاريخي هنا ، ذلك النشاط والجهد الذي يبذله المجتمع التاريخي[3]. في مواجهة أو رده على التحديات التي تستهدف وجوده كمجتمع تاريخي ، وهذا ينطبق على الرد التاريخي ، في المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس كرد للمجتمع الجزائري التاريخي ، على تحدي المشروع الاستعماري الفرنسي عامة والتربوي خاصة .

---

(1) أرنولد توينبي — مختصر دراسة التاريخ ... ص : 101 .
(2) المنجد الفرنسي العربي . ص : 778 .
(3) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع . ص : 15 .

الباب الأول

المشروع الاستعماري في الجزائر : (جذوره وملامحه التربوية)

الفصـــل الأول

— جذور المشـــروع الاستعمــــــــــــاري

1 — 1 : مقـدمـــة

1 — 2 : بنيـة المجتمـع الغربـــي

أ — معنـاها وتطـورهـا .

ب — مميزات بنيـة المجتمـع الغربـي

ج — العوامـل التي أثـرت في صياغـة بنيـة المجتمـــع الغربـي .

1 — 3 : المشـروع الاستعمـاري

أ — المجتمـع الغربـي والمشـروع الاستعمـاري

ب — مفهـوم الاستعمـار

ج — أسبـاب الاستعمـار الغربـي

1 — 4 : المشـروع الاستعمـاري في الجـزائـر

أ — تاريخـه .

ب — أسبـاب المشـروع الاستعمـاري في الجزائـر

ج — مراحـل تطـور المشـروع الاستعماري في الجزائر

د — مظاهـر ، وآثـار المشـروع الاستعماري في الجزائر

جذور المشروع الاستعماري

1 ـ 1 : مقدمة :

ـ نتناول في هذا الفصل الجذور أو الاصول التاريخية للمشروع الاستعماري ،وهذا من خلال دراستنا لأصل وتطور بنية المجتمع الغربي من جوانبها الأساسية ،لاعتقادنا أن المشروع الاستعماري عامة والتربوي خاصة في هذا السياق هو عبارة عن افراز وانتاج لمجتمع غربي فرنسي . ولا يمكن معرفة حقيقة هذا المشروع الا بالتعرف على أصول وتطور هذا المجتمع في شكله الحديث واكتمال بناء حضارته ،وايجاد وسائل استمرارها ومنها الاستعمار ،وهذا يساعدنا في تحديد المميزات والخصائص والأهداف الأساسية لهذا المشروع بصورة عامة ولجانبه التربوي بصورة خاصة ،هذه المميزات والخصائص والأهداف التي تعكس تصور الغرب لغيره من المجتمعات وعلاقته بها ،كل ذلك يساعدنا على كشف نقاط التحدي في المشروع الاستعماري . ٤٢٠٣٣٧

ـ وان موضوع التطرق لهذا المشروع ضروري لمعرفة الجانب التربوي منه ،لأنّ هذا الاخير كان بمثابة الأداة الأساسية لبلوغ الاهداف الاستعمارية ، وهذا للعلاقة الوطيدة بين التربية والانسان ،ومدى تأثيرها في صياغته وتنشئته ، وبالتالي فالتربية الاستعمارية الفرنسية كانت تحمل خصائص وأهداف المشروع الاستعماري التي هي أصلا خصائص وأهداف المجتمع الفرنسي الغربي ، والتي شكلت تحديا للمجتمع الجزائري كمجتمع ذي نموذج حضاري يختلف عن النموذج الغربي . لهذا سوف نتناول في البداية ،بنية المجتمع الغربي ،وتطوره التاريخي . ثم المشروع الاستعماري الغربي ككل ،وفي الجزائر بصورة خاصة .

1 — 2 : بنية المجتمع الغربي .

أ — معناها وتطورها :

كل مجتمع انساني أخذ في الوجود حيزا زمنيا ومكانيا له ميزاته الخاصة التي تنعكس على تصور الناس له ، وبهذا الصدد حاول " راشد الغنوشي " تحديد معنى المجتمع الغربي في قوله :" اننا اخترنا اطلاق كلمة غرب وغربي على العقلية التي سنتعرض لتحليلها ، لأنّ هذه العقلية عميقة في الفكر الأوروبي ، وهي السائدة فيه ، رغم أنها وجدت في غير أوروبا ، وفي عصور مختلفة "(1) وهذا التحديد منطقي ، خلاف التحديدات العرقية والجغرافية . والواقع يؤكد لنا أن الحضارة الغربية بخاصياتها (العالمية، العقلية والعملية) تمكنت من بناء نموذج حضاري خاص بها ، فرض نفسه محليا وعالميا ، وساهم في نشره الاستعمار ، والتقدم التكنولوجي . وفي بحثنا لبنية المجتمع الغربي بامتداده التاريخي ، من المرحلة اليونانية — الرومانية ، الى غاية المجتمع الغربي الحديث ، بدوله المتعددة نركز على الخصائص الاساسية لهذا المجتمع ، وتطوراتها ، وافرازاتها ، خاصة منها المشروع الاستعماري .

— أما البنية التاريخية للمجتمع الغربي فيقصد بها مجموعة التراكيب الاجتماعية ، وشبكة العلاقات الاجتماعية ، وما تحتويه من رصيد ثقافي ، هذه المعطيات التي تشكل المعالم الثابتة للمجتمع الغربي عبر أحقابه الزمنية المختلفة من حيث أن المجتمع الغربي هو مجتمع تاريخي ، تطور من

---

(1) راشد الغنوشي — ما هو الغرب — ص : 15 .

نقطة ميلاد معينة نحو هدف معين خاص به ، وعمل دائما على تغيير خصائصه الذاتية ،وذلك بانتاج وسائل تغييره [1] وان مشروعه الاستعماري كتحد للمجتمعات الأخرى كان تأكيدا لهذا المعنى الذى حددناه .

— أما عن التطور التاريخي لبنية المجتمع الغربي، فان النظرة الشمولية للتاريخ تبين لنا أن جذور أى مجتمع تكمن في ماضيه العريق وهو وضع المجتمع الغربي الذى تمتد أصوله الى العهد اليوناني — الروماني ، حيث بنيت أسسه الأولى فوق موقعه الجغرافي " أوروبا " ثم طبع بميزات فكرية خاصة ،مثل : الاعتماد الكلي على العقل والعناية المفرطة بالفلسفة ،والنزعة العملية المادية . ويؤكد كلا منا هذا ما أورده " السيد الباز العريني " أنه " لما استعرض مؤرخوا أوروبا المحدثون ما كان لحضارتهم ومدنيتهم من أصول ... لمسوا ثلاث مراحل كبيرة ،تتمثل في العصور القديمة التي شملت عصر اليونانيين والرومان.. "[2] ومرحلة المجتمع المسيحي التي امتد منذ أن ظهرت المسيحية في شكلها المؤسسي الكنسي [3] وترسيمها من طرف الامبراطور " قسطنطين " كديانة رسمية للامبراطورية ، وسيطرتها على زمام الأمور في المجتمع الغربي . وعرفت هذه المرحلة بالقرون الوسطى التي تميزت بالضغط ،والاضطراب السياسي ، والاجتماعي ، وسيطرة رجال الكهنوت على جميع المجالات وتضييقهم على الحياة العلمية ومحاصرتهم للعلماء، فكان أن نتج عن هذا، انتشار الجهل في أوساط المجتمع

---

(1) أنظر : مالك بن نبي — ميلاد مجتمع ... ص : 14 — 15
(2) السيد الباز العريني — تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ...ص: 5
(3) أنظر — شارل جنيبير — المسيحية نشأتها وتطورها — ص : 207

وتفشي الآفات الاجتماعية ، حيث كانت هذه الظروف السبب في انتقال المجتمع الغربي الى المرحلة الثالثة التي عرفت بعصر النهضة والتنوير ، نتيجة لما عاناه المجتمع الغربي في المرحلة السابقة. وقد بدأت هذه النهضة في شكل اصلاح ديني [1] ثم انتقلت الى المحاولات الأدبية والفنية ، فنبغ الكثير من المصلحين أمثال " مارتن لوثر Martin-luther " و" جون كالفن Jean-calvin " في الدين ،و " فرانسوا رابليه François-Rablet " و " جون جاك روسوا J.J. Rousseau " في التربية ... وتم في هذه المرحلة بذر الكثير من صفات المجتمع الغربي الحديث ، خاصة منها صفة الصراع والتناحر التي تولدت بين الحكام والاقطاع والكنيسة من جهة والشعب والعلماء من جهة أخرى . وأدت الى قيام الثورة الفرنسية . وفيها " اشتعل البركان ضد الملوك والمتسلطين ،وكانت النتيجة الحتمية لرد الفعل أن يلتهب الحماس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاء نور الحرية ، فرأى الهائجون في انطلاقهم أن يشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" [2].

— أما عن العصر الحديث فقد اغتنم الانسان الغربي فرصة تصفية حكم الكنيسة والاقطاع ، وانطلق في بناء نموذجه الحضاري العالمي ، بالاعتماد على العقل ، وتأسيس مجتمعه الحديث على قواعد العلم والتكنولوجيا . فكان أن ظهر المجتمع الغربي في مرحلته الاخيرة بوجه يحمل آثار جميع المراحل التي مر بها عبر التاريخ ، وأحسن صورة لخصت هذه الآثار ، هي ظاهرة الاستعمار الحديث

---

(1) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار — التاريخ الأوروبي الحديث — ص : 44
(2) فتحي عثمان — الدين في موقف الدفاع — ص : 44

كظاهرة تجسد فيها تصور الغرب للمجتمعات الانسانية الأخرى وتحددت في اطارها قواعد تعامله معها .

— فكان المجتمع الغربي مجتمعا يونانيا في تأليهه لعقله وحبه لحريته فقط و رومانيا في نزعته العملية ، وتقديسه للعمل والنظام ، واحتقاره وتعاليه على الأجناس الأخرى خاصة منها غير المسيحية. لكن هذا المجتمع الغربي الحديث ، أصبح يمتلك امكانيات رهيبة تمكنه من ممارسة نشاطه الحيوي في الواقع ، وتجسيد مميزات تركيبه من خلال علاقته بالمجتمعات الأخرى ، خاصة مع انطلاق مشروعه الاستعماري

ب — مميزات بنية المجتمع الغربي :

— توصلنا في بحثنا للعنصر السابق أن المجتمع الغربي الحديث ، هو خلاصة للمراحل التي مر بها في تاريخه ، ومميزاته الحديثة ، هي المميزات الجوهرية لهذا المجتمع عبر أطواره السابقة ، هذه الميزات أصبحت تشكل قواعد خاصة به ، وهي ضرورية لبقائه ، لأنه كما يقول " مالك بن نبي " : كل " مجتمع يحمل . . . في داخله الصفات الذاتية التي تضمن استمراره ، وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ ."(1) والمجتمع الغربي ، تمثلت فيه هذه القاعدة . واذا حاول التخلص من هذه الميزات ، فان ذلك يعني محاولة التخلص من أسس حضارته . وسنحاول التعرض لبعض هذه الميزات الأساسية فيما يلي :

— أولا : تميز الجذور الفكرية ، اذ هناك ثلاثة أسس يقوم عليها الفكر الغربي ، تميزه عن بنيات المجتمعات الأخرى ويتمثل الأساس

---

(1) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع . . . ص : 11 — 12

الأول في نظرية المعرفة عند الغرب ، حيث نجد الفلسفة الغربية في جوهرها ترى أن الوجود هو المدرك المحسوس وماعدا ذلك فهو اما خرافة يكون الايمان بها للمصلحة الخاصة ، أو تحارب اذا شكلت خطرا على المجتمع . والأداة الأساسية في البناء المعرفي للغرب هي العقل ، ولا شيء غيره ، وللكنيسة دور في هذا الاعتقاد ، لأنها قدمت الأشياء المجردة بشكل مناف للعقل ، مثل " عقيدة الثالوث والابن الآلهة "(1) . والاساس الثاني للفكر الغربي يكمن في نظرته للوجود ، حيث يكتنفه الغموض تصور المجتمعات الغربية للوجود ولنشأته ولعلاقتهم به . وهذا يرجع الى غياب التفسير الصحيح لدى الفلسفة اليونانية والكنيسة (2) لهذه النقطة . مما فتح المجال واسعا أمام الأساطير ، لأن تملأ الفراغ بخرافاتها التي تجعل الوجود خاضعا لهوى الآلهة وصراعاتها ، ثم أفسح المجال للعقل حديثا لاستخدام مناهجة العلمية الموضوعية ، مما أنتج تفسيرات مثل " الليبيدو " " والعامل الاقتصادى " " والنفعية " " والتطورية " . . . التي تمكنت نسبيا من توفير الاجابات على السؤال " كيف " لكنها عجزت الى حد بعيد عن توفير الاجابات المقنعة عن السؤال " لماذا " ، هذه الاجابات التى تبقى ضرورية للاطمئنان النفسي والروحي لدى الانسان . في حين ينحصر الأساس الثالث للنموذج الفكرى الغربي ، في نظرة الغرب للانسان ، وهذه النقطة مكونة من جانبين متناقضين ، فمن ناحية نجد المجتمع الغربي يؤله الانسان ، ويجعله هو الكائن المطلق والقادر في هذا الكون . ومن ناحية ثانية ينزله الى المستوى الحيواني . وأحسن من مثل هذه النظرة

---

(1) راشد الغنوشي ـ ماهو الغرب ـ ص : 18 ـ 19

(2) شارل جنيبير ـ المسيحية نشأتها وتطورها ـ ص : 204 ـ 209

" جون باك روسو " في آرائه التربوية التي وردت في كتابه " اميل – Emil " ، اذ جعل من الانسان مركزا للكون ، أي "الاها " بغرائز وحاجات حيوانية فقط ، وتجسدت هذه الظاهرة في واقع الغرب خاصة بعد الثورة الفرنسية ... ثم دعمتها الاطروحة " الماركسية " التي الغت مفهوم الاله السماوي لتبني مفهوم الاله الارضي الذي هو الانسان .

– ثانيا : الميزة الثانية للمجتمع الغربي هي ميزة الصراع وفيها يقول " محمد أبو القاسم حاج احمد " : " أصبح الصراع هو مجرد النشاط للانسان الاوروبي ... ، وتحل هذه الروح في كل البناءات الاقتصادية ، والسياسية والفلسفية والتاريخية ، صراع الانسان ضد الطبيعة ، وصراع الانسان ضد الانسان ... وتتبلور عقيدة الصراع في اتجاهاته في كل المذاهب ... "(1)، حتى أصبح المجتمع الغربي لا يمكن أن يعيش من دون صراع وان هناك مجموعة من الاحداث التاريخية ترسخ هذه المقولة لدينا . وهي الحروب الصليبية والحرب العالمية الاولى والثانية ، والصراع الطبقي ... والى يومنا هذا تواصل هذه الخاصية تحتها لجسد الغرب ومشاريعه في عالم الانسانية .

– ثالثا : الميزة الثالثة ، وهي وحدة الاصل وتناقض الفروع في تركيبة الغرب ، وما ينتج عنها . اذ أن أي مشروع جديد في هذا المجتمع نجده ظاهريا يناقض ما سبقه ، لكنه في جوهره مخلصا لاصله ومنطلقه وبيئته ، وفي هذه النقطة يقول " راشد الغنوشي " " ونحن اذ نستعرض أنماطا من التفكير الغربي يعتقد الكثير أنها متضادة ومتناقضة ، يتبين انها فروع لجذع واحد فالفكر الموسوعي في القرن 18 ، والاشتراكي والفاشستي فروع لجذع واحد ، أسميناه الغرب الاوروبي . "(2)

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد – العالمية الاسلامية الثانية . ص: 40 .
(2) راشد الغنوشي – ما هو الغرب – ص : 32 .

ونظـرة المـاركسيـة للانسـان فـي جوهـرها ،ما هي الا نظـرة البورجوازية التي بـدأت مـع الثـورة الفرنسيـة اي آن هـذا التناقـض فـي الاشكـال ما هو في حقيقتـه الا تكريـس لمبـدأ أساسـي لدى الغـرب، وهو التناقـض فـي الشكـل مـن أجـل الحفـاظ على وحـدة الاصـل .

- وهـذه المـيزات الثـلاثـة :(تميز الجـذور الفكريـة، والصـراع ،ووحـدة الاصـل وتناقـض الفـروع)، هـي التي جعلـت المشـروع الاستعمـاري الغربـي ، مشـروعـا قويـا يعتمـد على العقـل ويستخـدمـه فـي صـراعـه ضـد المجتمعـات الاخـرى للقضـاء عليهـا واخضـاعهـا لمصلحتـه كما جعلتـه يحمـل نموذجـه الحضاري المتميـز الـى المجتمعـات الاخـرى ،فكـان بذلـك مشـروع تحـد لحضـارة وهويـة ووجـود هـذه المجتمعـات .

- ج - العوامـل التي أثـرت فـي صياغـة بنيـة المجتمع الغربي :

1 - العامـل الديـني :

- للديـن آثـره الخـاص علـى الانسـان ويقـول " بنيـامـين كـونستـان- Benjamin . constan " أحد مـؤرخـي الأديان أن :
" الـدين من العوامـل الـتي سيطـرت علـى البشـر ... ومن المستحيل أن نتصـور مـا هيـة الانسـان دون أن يتبـادر الـى ذهننـا فكـرة الـدين ."(1) وهـذا يعـني آن الـدين لازمـة بشـريـة مهمـا كـان مصـدره وحسـب رأي " دوركـايم- Durkheim ":" آن العنصـر المشترك حقيقـه بـين جميـع الاديـان ... هو معنى الامـور المقدسة"(2)

- وللديـن اثـر في بنيـة المجتمـع من حيـث أن " الظـرف

(1) طـه الهاشمـي - تاريـخ الاديـان وفلسفتهـا - ص: 35 .
(2) فتحـي عثمـان - الديـن في موقـف الدفـاع - ص: 45 .

الذي يسجل نقطة الانطلاق في تاريخ مجتمع معين منها مما يتفق في الحقيقة مع ظهور فكرة دينية في فجر حضارة معينة"[1]. وحتى المجتمع الغربي نجده منذ فجر حضارته، يعيش في تفاعل ثنائي مع الدين . بل انه من الصعب حصر تأثيرات الدين فيه، والعكس صحيح، ويؤكد هذا " جيزو-هنري " حينما قام بتحليل تركيب المجتمع الغربي ،واثبت دور المسيحية في ذلك ،اذ يقول :" تلكم هي السمة العظيمة الاصيلة — أي المسيحية — للحضارة الاوروبية منذ آن تطورت تحت تاثير الانجيل "[2] ويشاطره في هذا "مالك بن نبي " الذي يرى آن كل حدث يسجله الزمن في تاريخ المجتمع الغربي، هو في الحقيقة امتداد وتجسيد للفكرة المسيحية ذاتها[3] والتدين الغربي الذي كان كنسيا اكثر منه مسيحيا بمفاهيمه الخرافية الممتزجة مع اساطير اليونان، ابعد هذا الانسان عن الاصل الصحيح للتدين، من حيث هو ايمان بقوة عظيمة مطلقة وخضوع لها ،واتباع لتعاليمها ،ودفعه الى تأليه العقل، وفي الوقت نفسه قاده الى التعصب الديني ضد كل الديانات الاخرى، وهذا ما يفسر جانبا من قسوة المجتمع الغربي على غيره من المجتمعات التي تخالفه الديانة .

2 — العامل الجغرافي :

— رغم ضحالة الدراسات — المتوفرة ،التي تناقش تاثير العامل الجغرافي ،الا أن هذا العامل لا يمكن انكاره او اهماله ونستند في تحديدنا هذا الى ما قاله " مالك بن نبي "

---

(1) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع — ص : 51 .
(2) " " " — ص : 55 .
(3) أنظر مالك بن نبي — ميلاد مجتمع ... ص : 57 .

من أن " تأثير فكرة دينية معينة رهن ببعض الشروط الجغرافية الانسانية، فاذا لم تجدها في مواطنها، هاجرت لتجدها في مكان اخر "[1] لانّ عطاءات الانسان الحضارية تنبع من محطياته الطبيعية والثقافية والمناخية الذي يعيش فيها، وتكون متميزة عن عطاءات غيره كما اكدها " هربرت موللر Herbert Moller " حينما قال : " ولا ريب أن مشكلة السكان هي أحد العوامل الأساسية، التي تحدد الطريقة التي يعمل بها كل مجتمع، كما تحدد سماته الرئيسية. "[2].

أما فيما يخص تأثير العامل الجغرافي الطبيعي، والسكاني، على المجتمع الغربي. فنستنتجه من قول " محمود جمال "، بأن أوروبا " في مجرى التاريخ، قد مرت بأدوار متتابعة، فان التاريخ على طول امتداده مرتبط، ومتأثر بالموسط الجغرافي، أو البيئة الجغرافية. التي كان لهما أثرها على التاريخ "[3] فموقع أوروبا مثلا في منطقة مناخية معتدلة مكنها من ظروف المعيشة الملائمة، خاصة الزراعية. وهذا عامل مساعد على النمو والتطور السريع.[4] كما أن التركيبة السكانية لأوروبا قد جمعت بين سلالات مختلفة[5]، مما يضمن لها التنوع الثقافي والحضاري والذى هو عامل مساعد على الازدهار الحضاري للمجتمع. وقد ظهر أثره على أوروبا وانتاجها الحضاري المتنوع، والخصب مما اكسب المجتمع الغربي ثروة طبيعية وبشرية كان لها دور فعال في تغلبه في جل معاركه التي خاضها ضد المجتمعات الأخرى.

---

(1) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع ... ص: 54

(2) أ. هربرت موللر — التحركات السكانية في تاريخ أوروبا — ص : 44

(3) محمود جمال الدين الجمل — أوروبا في مجرى التاريخ — ص : 16

(4) أنظر — محمود جمال الدين الجمل — أوروبا في مجرى التاريخ — ص : 53

(5) " " " " " " " — ص 60، 61، 62

3 — عامل الفلسفة والعلم :

— من الناحية التاريخية ، فان كل من عاملي الفلسفة والعلم قد تداولا التأثير على المجتمع الغربي ، منذ بدء تكوينه أي من العهد اليوناني — الروماني مرورا بالعصور الوسطى — مع تضاؤل نسبي أمام سيطرة الكنيسة — الى غاية عصر النهضة والاصلاح حيث استلم العلم مقاليد التوجيه والقيادة للمجتمع الغربي نحو تطلعاته ، وأهدافه . وهكذا كان كل من الفلسفة والعلم بالنسبة للمجتمع الغربي ، مبدآن ووسيلتان مبدآن من حيث كون الفلسفة الغربية منذ نشأتها وترعرعها عند اليونان ، وهي تحتل المركز الاساسي في حياة المجتمع الغربي ، اذ كانت مصدر التنظير والتشريع للناس في كل الميادين ، وفي هذا الصدد يقول "برتراند راسل Bertrand Russelle" : " قد بدأت الفلسفة باعتبارها متميزة عن اللاهوت ابان القرن السادس قبل الميلاد ." (1) وتأكيدا لهذا القول نورد تحليلا للموضوع ، قدمه " أحمد شيباني " في تقديمه لكتاب " قصة الفلسفة " حيث يقول : " الفلسفة اليونانية الأوروبية هي وحدة متكاملة مستقلة عن كل فلسفة أخرى ، ومن الصعب على الكاتب بمكان أن يربط بينهما وبين أي فلسفة أخرى ، دون أن يلمس القارئ التناقض في البناء الفلسفي ، والتضارب في خطوط اتجاهات الفلسفات." (2) وطالما أن هذا التأثير للفلسفة هو عنصر متواصل في تكوين أفكار ومعتقدات المجتمع وبناء تصوراته ومفاهيمه ، وهذا أمر جدمهم ، فان صداه يكون مصيريا في واقع المجتمع الغربي وغيره من المجتمعات . وتؤكد هذا التحليل

---

(1) برتراند راسل — تاريخ الفلسفة الغربية (1) — ص : 7
(2) ويل ديورانت — قصة الفلسفة — ص : 15

مقولة " محمد باقر الصدر " : " ان لمسألة تكوين مفهوم فلسفي عام عن العالم مركزا رئيسيا في العقل البشري منذ حاولت الانسانية تحديد علاقاتها بالعالم الموضوعي وارتباطاتها به . "(1).

— اذن فأي تأثير للمفاهيم الفلسفية في تصورات الانسان والمجتمع ينعكس مباشرة على واقع المجتمع المادى ، والاجتماعي . وهذا ما طبع تصورات المجتمع الغربي الروماني ، وبعده المسيحي بكثير من مفاهيم الفلسفة اليونانية مثل " المنطق الارسطي " . بل وطبع حتى المسيحية ببعض المفاهيم الوثنية مثل تجسيد الآلهة .

— أما عن العلم فان العصر الحديث بكل امتداداته وميادينه لشاهد على أن العلم قد حل في المجتمع الغربي الحديث محل الفلسفة اذ أصبح مبدأ أساسيا في الحياة الفردية والجماعية ، بعد أن تجاوزت مفاهيمه دور التدريس والمخابر ،لتعبر الى الشارع والبيت ، وغيرهما . . . وأصبح ميزان الصحة والخطأ عند الانسان الغربي هو العقل ، والعلم وكان ذلك نتيجة من النتائج المنطقية لسيطرة الكنيسة واضطهادها للعقل والعلم فكان أن أصبحت " الفلسفة الأروبية هي في الأساس فلسفة مادية علمية تعتمد الحواس والحساسية ركنا للمعرفة وأساسا . . . "(2)

— أما عن الفلسفة والعلم كوسيلتين ، فقد كانت الفلسفة ولمدة طويلة كما ذكرنا سابقا علامة مميزة لفكر الغرب ولحياته الاجتماعية . لكن هذا لايعني أن الانسان الغربي كان سلبيا في علاقته معها ، بل بينت الحقائق التاريخية أنه كان متفاعلا معها تفاعلا ايجابيا حيث اعتنق مبادئها

(1) محمد باقر الصدر — فلسفتنا — ص : 197
(2) ويل ديورانت — قصة الفلسفة — ص : 17

وطوعها كأداة ، شكل بها نموذجه الحضاري عبر التاريخ ويتضح هذا كثيرا عند الرومان الذين لم يضيفوا شيئا مهما للفلسفة لكنهم طوعوها في بناء هيكلهم الفكري ، والحضاري ويؤكد هذا " يوسف كرم " اذ يقول : " لم تكن للرومان فلسفة اصيلة ، ولكنهم كانوا عالة على اليونان ، تمذهبوا بالرواقية والابيقورية واكتسبوا بعض الآراء من المدارس الاخرى وفي مقدمة نقلة الفلسفة الى اللاتينية ، شيشرون ... "(1)

— كما كان العلم ويبقى مبدأ حيا في حياة المجتمع الغربي ، وهو أداته الفعالة في بناء حضارته وتطويرها ، منذ " جاليلى " الى آخر اكتشاف علمي ، اذ اتخذ الاوروبيون من العلم آداة مسخرة لتحقيق مآربهم الكبيرة والصغيرة المعقولة واللامعقولة ، ويصور لنا " كليم صديقي " هذا الجانب حين يقول : " رجل العلم الذي يعمل في اطار الانموذج الغربي ، يقبل بسيطرة الساسة على مساره وتوجيههم للخط الذي يسلكه رغم أنهم خارجون عن دائرة المجتمع العلمي الذي ينتسب اليه ذلك العالم ... فالحقيقة هي ان هذه العلوم موجهة ومشبعة بقيم المجتمع الغربي . "(2) ولهذا فتميز فلسفة المجتمع الغربي ثم سيطرته على العلم وتمكنه منه وجعله وسيلة فعالة وخطيرة في يده زاده من ثقته بنفسه ودفعه الى غزو المجتمعات الاخرى خاصة التي تخالفه الفلسفة ولا تمتلك ما يمتلك من علم . فكانت السيطرة لصالحه .

---

(1) يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الاوروبية ... ص : 19 .
(2) كليم صديقى — التوحيد والتفسيخ ... ص : 11 .

4 — عامل الأنظمة الاجتماعية :

— يعرف الاخصائي الاجتماعي " عبد المنعم هاشم " النظام الاجتماعي بأنه : " مجموعة القيم والمقاييس والاعراف والقوانين والانماط السلوكية المقررة التي تنظم ناحيتة أو أكثر من نواحي الحياة الانسانية . " [1] ، واذا كان هذا محتوى النظام الاجتماعي فمن المؤكد أن له تأثيرا فعالا على المجتمع من حيث أن هذا النظام ونوعية محتواه يطبع المجتمع بطابع خاص، ويسقط عليه مميزاته الذاتية ، وهذا ما أثره " أحمد بوزيد " بقوله : " كل نظام اجتماعي يلعب دورا محددا في المحافظة على نمط الحياة السائدة في ذلك المجتمع بالذات. " [2] .

— أما عن العلاقة بين المجتمع الأوروبي والنظم الاجتماعية التي سادته ، فانها علاقة جدلية ،حيث كان المجتمع الغربي عبر التاريخ ، بمعطياته الثقافية والبشرية والبيئية. يساهم في صياغة نظام اجتماعي معين ، ليبدأ هذا الأخير بعد تشكل ملامحه الأولى في ممارسة تأثيره على حياة المجتمع وعوالمه الثلاثة : عالم الأشخاص وعالم الأفكار، وعالم الأشياء . ولقد مر المجتمع الغربي بأربعة نظم اجتماعية :

— أولا : نظام الرق القائم على تقسيم المجتمع الى طبقتين ، إحداهما حاكمة والأخرى خادمة ،ولقد ترك هذا النظام أثره على المجتمع الغربي . خاصة في مستوى . العلاقات بين الناس التي كانت علاقة صراع واستغلال .

— ثانيا : النظام الاجتماعي الثاني هو الاقطاعي ، وقد ورث عن النظام السالف الانقسام الطبقي واستغلال طرف لطرف

---

(1) عبد المنعم هاشم — الجماعات بين التنشئة والتنمية — ص : 50

(2) أحمد بوزيد — البناء الاجتماعي . . . ص : 120

آخر ، بالاضافة الى تحالف الاقطاعيين مع الحكم والكنيسة ، ضد الشعوب الغربية ، مما اذ أقها ويلات الظلم والقهر . وانتهى هذا النظام بثورات عديدة ، كانت أولاها الثورة الفرنسية (1789) ، وكان لهذا النظام الكثير من الآثار في واقع المجتمع الغربي ، خاصة الدور الذى لعبته قواعد هذا النظام وخصائصه [1] ، ويصور لنا " محمد أبو القاسم حاج حمد " هذه الآثار قائلا : "أمام الهزات التي أصابت البنية الاقطاعية ، والفكر اللاهوتي ، أعاد الانسان تحت طائلة المتغيرات نظرته الى نفسه ، والى العالم . أصبح أكثر ميلا للحرية ، بمعناها الاجتماعي الفردى . . . تضخم الاحساس بالذاتية . . . لم يعد الانسان قابلا للتقولب السهل ، والانقياد الأعمى . . . طغت النقدية ضد كل الاتجاهات[2]" بالاضافة الى هذه الآثار فقد ترك الاقطاع بعض ملامحه على النظام الذى خلفه .

— ثالثا : النظام الرأسمالي الذى ولد في أحضان النظام الاقطاعي .[3] وبهذا الصدد شهدت أوروبا تطورا ملحوظا في عهد الرأسمالية ، خاصة بعد ما شن الغرب هجمته الاستعمارية على المجتمعات الاخرى وأهم ما يلاحظ من آثار هذا النظام على المجتمع الغربي هو تحويل جزء من الصراع الداخلي الذى كان يعانيه الغرب الى صراع خارجي مع المجتمعات الأخرى .

— رابعا : النظام الرابع هو الاشتراكية ، التي طرحت نفسها كبديل للنظام والواقع الرأسمالي [4] ، لكنها في

---

(1) ج .و . كوبلاند — الاقطاع في العصور الوسطى — ص : 4
(2) محمد أبو القاسم حاج حمد — العالمية الاسلامية الثانية — ص: 30
(3) أنظر أحمد الشيباني — دراسات في العقائد الرأسمالية . . . ص : 21
(4) أنظر — راشد الغنوشي — ماهو الغرب . . . ص : 37

الحقيقة لا تختلف عن الانظمة التي سبقتها ،في نظرتها للانسان ، وللوجود وللحياة بل إنها رسخت التصور المادى في المجتمع الغربي أكثر من الرأسمالية ،لانها اتفقت واياها في مجال الأخلاق لأنهما تدينان بالمذهب "الهيكيا فيلى"، وتمارسانه ضميرا وعقلا وفعلا.[1] ، ومخلصتان للخصائص الجوهرية في نظرة الغرب وتصوره .

— هذا التنوع التاريخي في النظم الاجتماعية للمجتمع الغربي ، أكسبته تجربة اجتماعية ، وسياسية واقتصادية خصبة، ساعدته في بناء نظام اجتماعي اقتصادى سياسي ، متكامل وقوى ، خاضع للمراقبة العلمية ، وهذا مالم يتوفر لغيره من المجتمعات التي تختلف عنه تاريخيا . كما أن التميز في النظم الاجتماعية والاقتصادية التي سادت المجتمع الغربي، غذت بعض المميزات العميقة في تركيبه،مثل الصراع الطبقي ، والمصلحة الشخصية والمنفعة المادية التي تحكم كل شيء بما فيها الأخلاق كل هذه العناصر كانت سلاحا خطيرا في يد المجتمع الغربي أمام غيره من المجتمعات الأخرى.

(1) أنظر — أحمد الشيباني — دراسات في العقائد ...ص: 15

1 ـ 3 : المشروع الاستعماري :

أ ـ المجتمع الغربي والمشروع الاستعماري :

ـ نستخلص من تناولنا لبنية المجتمع الغربي أن الظروف والعوامل التي مر وتأثر بها هذا المجتمع ، جعلت منه تركيبا متداخلا ومعقدا . هذا التركيب الذى نشأ عند اليونان وترعرع في أحضان الكنيسة ، والاقطاع ، واكتمل نموه عبر أحداث الثورة الفرنسية وحرية الرأسمال ، وأعطى لنفسه تفوقا نوعيا على المستوى الحضارى العالمي ، بواسطة انتاجه لمجموعة من الوسائل التي حافظت على تفوقه وقوته وعلى ضعف الآخرين . ونجد من هذه الوسائل " اللائكية" التي أقرها المجتمع الغربي ، للتخلص من جهة من آثار الدين والأخلاق على حياته ، ومن جهة أخرى للقضاء على صراع الطوائف والمذاهب المختلفة ، لضمان وحدته وابعاده لعوامل تمزقه وبهذا اكتمل عنده " تدريجيا لا هوت الأرض بشقيه الرأسمالي والاشتراكي ." [1] ، وأصبح كل فرد يحيد القيم الدينية من تصرفاته وتأثيرها على مواقفه تجاه المجتمعات الأخرى ، مع العلم أن حقد المجتمع الغربي على الديانات الأخرى لا يقل عن كرهه لحقيقة التدين .

وأوجد المجتمع الغربي ، الحرية المطلقة للحفاظ على قوة وتطور كيانه في الفكر والاقتصاد والعمل . هذه الحرية التي نشأت مع أفكار " روسووفولتير "[2] وترعرعت مع الثورة الفرنسية ، وزادتها الأفكار ، والفلسفات الحديثة تعمقا في حياة المجتمع ، موضوع الحديث . هذه الحرية

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد ـ العالمية الاسلامية الثانية ـ ص :33

(2) أنظر ـ راشد الغنوشي ـ ماهو الغرب ـ ص : 33

التي لاتعترف بحد ولا بقيد ، ولا تحترم قيمة أخلاقية ، ولا ذمة انسانية . وان التزمت بالقوانين التي وضعها المجتمع الغربي لحماية نفسه ، فان ذلك لم يكن الا محليا وداخل المجتمع الغربي فقط ، أما في المجتمعات الأخرى ، فلا حرية الا للانسان الغربي لأنه الأقوى والمسيطر .

— كما وظف المجتمع الغربي وسيلة العلم ، والتكنولوجيا لتدعيم قوته وتطويرها ، وهذا بعد أن وثق في الحقل وكرسه لتطوير العلم والتكنولوجيا ، قصد ارضاء حاجاته ورغباته وقلب ذلك بعدا واحدا ، لهذا العلم تمثل في العمل على بلوغ المآرب المادية ، وتمكين المجتمع الغربي من وسائل القوة والسيطرة ، حتى وان ضحى بالأخلاق وبالانسانية كلها .

— هذه الميزات الثلاث (اللائكية ، الحرية ، العلم) وهي متكاملة ومتفاعلة ، ساهمت في انتاج وسيلة أخطر ، هي الاستعمار ، الذى تجسد في مشروع منظم ومخطط ، له أهداف محددة حيث أن المجتمع الغربي أمام ضرورات معينة ، واستجابة لنفسية الغزو والسيطرة ، والصراع ، الكامنة في كيانه ، واستعانة بامكانات ووسائل متطورة وفتاكة ، بدأ الهجمة الاستعمارية الحديثة ، وكان العالم الاسلامي ميدانا واسعا لها . فما حقيقة هذا المشروع الاستعمارى الغربي ؟ وماهي أسبابه ووسائله وآثاره ، في العالم الاسلامي بصورة عامة ، وفي الجزائر خاصة؟

ب — مفهوم الاستعمار :

— ان كلمة استعمار مثل بقية الكلمات الأخرى الموجودة في اللغة ، كانت بريئة من أى محتوى ولكن تطور المجتمعات البشرية ، ولظروف مختلفة اقترنت هذه الكلمة مع أحد نشاطات

الانسان ، فأصل الكلمة هو " التعمير " ، وتفيد الخدمة والتحويل الايجابي لمنطقة معينة ويرى " غي دوبوشير " GHy-de Bochen " أن : " الكلمة الأساسية التي اشتق منها المصدر "استعمار" تستمد أصلها من كلمة ، " مستعمر" المنحدرة من الأصل اللاتيني "كولوناس Colonus " والكلمة اللاتينية بالمعنى الحرفي تدل على زراع الأرض "[1] لكن مع بزوغ ظاهرة الغزو في حياة المجتمعات ظهرت المناطق المغزوة ، وسميت مستعمرات ، ويشير " جلال يحي " بهذا الصدد الى أنه : " يمكن للهجرة أن تتحول الى عملية غزو واذا ماأخذت الجماعة المتنقلة بتشكيل وتنظيم جيش ، يمكن للغزو أن يتحول الى استعمار ، اذا ما تبعت الجيش ادارة مستخدمة لاستغلال البلاد المفتوحة "[2] وقد ورد في موسوعة " لاروس Larousse " أن معنى " الاستعمار ، نوعية خاصة من العلاقات بين الأمم التي تستلزم فعل السيطرة والحكم الممارس من طرف الشعب المستعمِر على الشعب المستعمَر "[3]

— ونخلص في تحديدنا لمفهوم الاستعمار الى ماقاله " غي دوبوشير " : " ان الاستعمار يتميز باختلال التوازن في العلاقة بين المستعمرة ، وأهل البلاد الأصليين ، وتحل علاقات السيطرة محل علاقات المساواة ، وتحتل المستعمرة الأراضي احتلالا عسكريا ، تقهرها بدلا من أن تقتنيها ، وتخضع أهل البلاد الأصليين لقوانين المستعمرة ، وتنظيمها . "[4] ويعتبر هذا التحديد أكثر شمولية وأنسب لموضوع بحثنا .

---

(1) غي دوبوشير — تشريح جثة الاستعمار — ص : 13

(2) جلال يحي — الاستعمار والاستقلال والتخلف — ص: 20

(3) بدون ترقيم — Grande Larousse - (Tome Troisieme) Col

(4) غي دوبوشير — تشريح جثة الاستعمار — ص : 23

ج ـ أسباب الاستعمار الغربي :

ـ ان الاستعمار كما ذكرنا سابقا في شكله المبسط ، هو عبارة عن هجرات تقوم بها المجتمعات تحت تأثير مجموعة من الاسباب ، يمكن أن نلخصها في أسباب طبيعية ، ديمغرافية ، سيكولوجية ، وتقنية [1] لكن الاستعمار الحديث أكبر وأعقد من تلك الهجرات ، في تركيبه ، وفي أسبابه المعقدة ، المتداخلة التي يوضحها تعليق " م ك اكسنفلد ـ Excenfeld " على المؤتمر الاستعمارى الألماني [2] ، حيث قال : " ان المؤتمر الاستعماري امتاز بميزتين : الاولى ، أنه بحث في الشؤون الصناعية ، والاقتصادية ، والثانية ، اجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية الى الاعمال الاخلاقية ، والدينية في سياسة الاستعمار ... " [3] . وأوجزنا الاسباب التي دفعت المجتمع الغربي في هجمته الاستعمارية على العالم الاسلامي في الآتي :

1 ـ الدين :

ـ يقول المؤرخ . " دريو ـ Dorio " : " لقد كان على الغرب أن يحاصر الاسلام من كل جانب وأن يقضي على الجهود التي كان يبذلها الاسلام لاقامة العقبات أمام غزو أوروبا المسيحية لافريقيا ." [4] وهذا القول دليل قوى ، على الحضور الأساسي لعامل الدين في الهجمة الاستعمارية الغربية ، على العالم الاسلامي ، الهجمة التي كانت روحها صليبية خالصة ، وان تعددت أسبابها الى

(1) أنظر ـ جلال يحي ـ الاستعمار والاستغلال والتخلف ـ ص : 20 ، 21
(2) أنظر ـ أ .ل . شاتلية ـ الغارة على العالم الاسلامي ـ ص : 80
(3) أ .ل . شاتلية ـ الغارة على العالم الاسلامي ـ ص : 80
(4) محمد علي النبيت ـ الغرب والشرق ... ـ ص : 41

ما وراء ذلك من النواحي الأخرى ،اذ حشدت أوروبا قواتها باسم الدين ،لخدمة أغراض ورغبات مادية ، وساهم في ذلك رجال الدين بكل مالديهم من امكان وسلطان ،منذ البيان الذى وجهه البابا " ايريان الثاني- Erban II "،(1) الى مجمع " كليرمونت فيران Clearmount viran " ، في 27 نوفمبر 1095 الذى دعا فيه الى تخليص الأماكن المسيحية المقدسة من أيدى المسلمين ،ولقد عبر عن هذه الروح الصليبية " وليم جيلفود F. William " في قوله : " متى قوارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة ، التي لم يبعده عنها الا محمد ، وكتابه . "(2). هذه الروح الصليبية التي ساعدت في نفخ روح الغزو لدى الانسان الغربي للعالم الاسلامي ،لم تكن تلك الروح الدينية الطاهرة الخالصة لوجه الرب ، أو نصرة كلمته ،انما -كما بينا ذلك سابقا - هي عبارة عن تلاطم بعض الأحقاد النابعة في الزاوية المظلمة من نفسية الانسان الغربي ، التي تعود في أساسها الى ملكة الصراع لديه ،وتقديسه لنفسه ، وتحقيره لغيره هذه الأمور التي كانت تندفع الى السطح في شكل شعور بالحقد ،والرغبة في الانتقام ، تستغل في الحروب ذات الأغراض المختلفة ،وكان ذلك هو الوقود المعنوى للهجمات الاستعمارية الشرسة التي قام بها الغربيون قديما وحديثا وسنوضح تأثير هذا العامل - مباشرة حينما نتطرق الي المشروع الاستعمارى في الجزائر.

---

(1) أنظر - غي دبوشير - تشريح جثة الاستعمار - ص : 121

(2) أ.ل. شاتليه - الغارة على العالم الاسلامي - ص : 94

2 ـ المصلحة الاقتصادية :

ـ يملك العامل الاقتصادى ، حيزا متميزا بين الأسباب المتعددة التي تدفع المجتمعات عامة الى الغزو ، والمجتمع الغربي خاصة ،الى الاستعمار ، لأن العامل الاقتصادى يرتبط بالحاجات الحيوية لدى الانسان ، وبصورة أوضح هو الاستجابة لحاجات الانسان المادية . ولقد كانت هذه الحاجات عند الاستعمار الغربي منظمة في شكل مشروع عملي بعيد عن كل القيم الاخلاقية ،والصوت الوحيد المسموع لديه ، هو صوت الجوع والحاجة الى المزيد من الكسب المادي . مع العلم أن هذا لا ينفي تأثير العامل الديني بل يصبح هذا الاخير هو الغطاء الشرعي والمبرر النفسي للعمل الاستعماري . وهذا ما يؤكده القول التالي : " وهو أن ما حدث في الحروب الصليبية . . . كان الهدف الاساسي عند معظم المسيحيين الذين اشتركوا في هذه الحروب هدفا دينيا . . . ولكن المصالح الاقتصادية في هذا المستوى ، ومنذ تلك اللحظة ليست غريبة تماما عن المجرى التوسعي للأحداث ."(1) وان شراسة الهجمة الاستعمارية الاخيرة قد اثبتت عبر تحليلات عديدة ان العامل الاقتصادي كان له تاثير كبير(2) خاصة ما عرف " بحمة الذهب " التي سادت عصر الاكتشافات ،وعمليات السلب والنهب التي رافقت الغزوات العسكرية ،ونشاط الشركات الاحتكارية واقامة المنشآت الاقتصادية داخل الدول المستعمرة ،إلى جانب اعادة هيكلة الاستعمار لاقتصاد الدول التي أخضعها لحكمه .

---

(1) غي دوبوشير ـ تشريح جثة الاستعمار ـ ص : 40 .
(2) أنظر ـ محمود السمرة ـ غربيون في بلادنا ـ ص : 5 .

3 — الموقع الاستراتيجي :

— بالرغم من ان الغرب كله استعماري ، يتشبع بالنزعة الاستعمارية تجاه العالم كافة والعالم الاسلامي خاصة ،لكن هذا لم يمنع الدول الاستعمارية من التنافس، لدرجة الصراع ،فيما بينها في محاولة السيطرة على افضل المستعمرات ،وكان كل طرف ، يحاول أن يركز نفوذه في أفضل المواقع ، وأحصنها ،لضمان مصالحه الحيوية في الخارج . وهذا ما اعطى الغزوات الاستعمارية دفعا آخر ،فلم يكن هجوم المسيحية الشرس على الاسلام ،من عمل المسيحية فقط ، بل كان سياسيا في نفس الوقت [1]، وما حرب المواقع والتسابق في كسب ورد الدول الضعيفة الا نوعا من الغطاء للدافع السياسي الذي كان يخفيه الاستعمار . ورغم انه قام بحملته الاستعمارية من اجل المصالح الاقتصادية والمنفعة المادية ،الا أن استيلاءه على بعض المناطق ،كان الغرض منه استعمارها من أجل أهميتها الاستراتيجية [2]، وهذا ما يفسر استعمار فرنسا للمغرب الاقصى ،قصد منافسة بريطانيا في السيطرة على مضيق جبل طارق الاستراتيجي . [3]،واستعمار بريطانيا لمصر للسيطرة على قناة السويس، الممر البحري نحو الشرق الاوسط والاقصى . وكما نعرف فان الموقع الجغرافي لدولة ما ،هو الذي يحدد أهميتها بالنسبة لاستراتيجية الاستعمار ف " الجغرافية الطبيعية لمنطقة ما، هي التي تحدد غالبا مصيرها السياسي والاقتصادي ." [4]، حيث أن المناطق ذات المناخ المعتدل والتضاريس السهلة والمواد الخام ، هي التي جذبت الاستعمار اكثر من غيرها من المناطق الفقيرة ذات الجغرافية الصعبة .

---

(1) جلال يحي — الاستعمار والاستغلال والتخلف — ص : 144 .
(2) أنظر :— هاريستون تشرش — الاستعمار الحديث — ص : 187 .
(3) أنظر :— موسوعة المعرفة — المجلد 14 — ص : 2442 .
(4) هاريستون تشرش — الاستعمار الحديث — ص : 41 .

4 — التطور العلمي والتقني :

— أفرزت القرون الوسطى رغم ظلامها الحالك على أوروبا ، عصرا ذهبيا ، يدين له الغرب اليوم لما فيه من قوة وتمكين . هذا العصر هو عصر النهضة الذي برزت فيه أوروبا للعالم بصورة جديدة ، كلها تخطيط وتنظيم ودراسة ، مع التقدم العلمي والتقني الذي اعطى لأوروبا ، نظرة جديدة في رؤيتها للعالم الآخر الغارق في سباته ، ومنه العالم الاسلامي ، وبهذا كان ، الاستعمار الحديث نتيجة التقدم العلمي والفني وروح المخاطرة [1] لدى المجتمع الغربي . واهم جانب ساعد أوروبا في هجمتها الاستعمارية ، هو الكشوف الجغرافية [2] في القرن الخامس عشر . حيث مهدت بذلك للهجوم الواسع الذي شنته أوروبا بصورة سريعة ، على العالم المستضعف ، بفضل الانتاج الصناعي الكبير الذي حققته الثورة الصناعية ، وحاجتها الى أسواق تجارية تستوعب انتاجها الصناعي الفائض ، على مستوى الدول غير المصنعة التي كانت لها احسن سوق ، خاصة دول العالم الاسلامي .

---

(1) هاريستون تشرش — الاستعمار الحديث — ص : 28 .
(2) غي دوبوشير — تشريح جثة الاستعمار — ص : 33 .

1 — 4 : المشروع الاستعماري في الجزائر.

أ — تاريخه :

— من الثابت تاريخيا ان الحروب الصليبية، التي بدأت مع مطلع " القرن الحادي عشر (11)"، في منطقة المشرق الاسلامي ، وفشلت في تحقيق غرضها هناك تحولت الى المغرب الاسلامي[1] لتكمل الحملة ، خاصة وان الحالة بالمشرق غير الحالة بالمغرب ، حيث ، " مازالت شوكة ملوك المغرب تضعف شيئا فشيئا ، بسبب الخصومات التي كانت قائمة ، بين الزيانيين وابناء عمهم بني مرين منذ نشوء مملكتيهما ، وبينهما وبين الحفصيين "[2] مما شجع اوروبا المسيحيه ، بقياده اسبانيا على القضاء على المسلمين بالاندلس، وتم ذلك فعلا بسقوط غرناطة ، أواخر القرن الخامس عشر . وبذلك فتح عهد جديد بين القوة الاسلامية والقوة المسيحية كان فيه الهجوم للمسيحيين ، والدفاع للمسلمين . لكن في خضم هذه الاحداث ، ظهرت قوة جديدة ، هي الاتراك بقيادة الاخوين " خير الدين وعروج " ، وبفضل تحالفهم مع سكان المغرب الاوسط ، اوقفوا " الاسبان وحتى البرتغاليين من الانتشار في افريقيا ، وارغموهم على المكوث في الشواطئ ، الى حد انهم لم يستطيعوا التوغل داخل البلاد . "[3] . الا ان هذا الوضع لم يدم طويلا ، لان الظروف كانت في صالح الغرب الذي ، كان في حالة تطور ، عكس العالم الاسلامي السائر نحو التدهور . وقد توالت الحملات الاسبانية من الحملة الاولى سنة (1516 م) بقيادة " ديلقوادي فيرا — الى اخر حملة سنة

---

(1) انظر — عبد الرحمن الجيلالي — تاريخ الجزائر العام — اا — ص: 231 .
(2) عبد الحميد بن أشنهو — دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر. ص: 11 .
(3) عبد الحميد بن أشنهو — دخول الاتراك ... ص : 219 .

(1791م)[1]، حيث ساهمت هذه الحملات في اضعاف الدفاع الخارجي لدول المغرب الاسلامي، مما دفع بعض القوى "الفتية" آنذاك مثل بريطانيا وفرنسا، الى التخطيط للاستيلاء على المغرب، خاصة اذا عرفنا انه بدنو نهاية القرن الثامن عشر (18)، كانت البحرية الاوروبية قد أصبحت هي المهيمنة على البحر المتوسط[2]، وبهذا تأكد المصير المحتوم لشعوب المغرب الاسلامي في ظل الغلبة الاوروبية خاصة تجاه الجزائر، لكن ما كان يجهل آنذاك هو نوع هذا المصير الذي حددته — الى حد بعيد — فرنسا بالاتفاق سريا مع الاطراف المختلفة المسيحية، متمثلة في الدول الاوروبية واولاهم بريطانيا، والاسلامية منها الباب العالي، ومصر وتونس وكانت النتيجة ان تبلور المشروع الاستعماري، ونضج واصبح جاهزا للتطبيق، لا سيما، وان هذا الوضع توافق مع ظروف لخصها " محمد علي الغنيتت " في " تطوير الاستعمار ووضع اسسه العلمية، و ... شرع فلاسفة أوروبا ينادون بأن على الغرب أن يخضع افريقيا العربية الاسلامية الى سلطانه، الى قوانينه، الى مبادئه، والى لغته."[3] وبدأ ذلك فعلا في منتصف عام (1830م) حيث وضع المشروع في مرحلة التطبيقية. هذا المشروع الذي تسجل بشأنه انه بني لبنة لبنة، مع مر السنين، عندما كان كل من الطرفين يتجه عكس الآخر في مسيرته الحضارية، الحضارية، الفرنسي نحو الرقي والتمكن، والجزائري نحو الهزيمة والتخلف.

---

(1) أنظر: توفيق المدني — حرب الثلاثمئة سنة ... ص: 180 — 27 5

(2) أنظر: جون وولف — الجزائر وأوروبا ... ص: 428.

(3) محمد علي الغنيت — الغرب والشرق — من الحروب الصليبية ... — ص: 42.

ب — أسباب المشروع الاستعماري في الجزائر :

— تداخلت الاسباب التي انتجت المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر ، وساعدته على النجاح فمنها الاسباب القديمة ، ومنها الحديثة ، ومنها النفسية ومنها الاقتصادية . وكل نوع من هذه الاسباب كان له دوره في التاثير لكن الملاحظ أن هذه الاسباب ، ماكان ليتجح أحدها في التاثير دون حضور الاسباب الاخرى . لدرجة انه لا يمكن التفريق بينها ، بحكم التداخل المذكور .

— ومن الاسباب الاساسية لهذا المشروع ، الاسباب النفسية والدينية ، اذ يلاحظ أن المشروع الاستعماري قد أوجد جوا نفسيا ، عند الانسان الغربي ، لما أيقظ النفسية المشبعة بحب الصراع والحقد على العناصر البشرية الاخرى ، كما اثبتنا ذلك سابقا ، فكانت النتيجة أن نال المشروع الاستعماري موافقة نفسية جيدة ، كانت بمثابة الوقود الذي غذى المشروع . ويعبر " مالك بن نبي " عن هذه النقطة قائلا : " تلاحظ أن الامم الاستعمارية على الرغم من ادراكها لاخطار الاستعمار تعمى عن هذه الاخطار ، كأنه هناك قدر محتوم يقضي على يقضتها ووعيها ."(1) ، هذا الاستعداد النفسي الذي كان وراء المشروع الاستعماري ، هو الذي خلف تلك المجازر الرهيبة لمدة 130 سنة من الاستعمار .

— أما عن العامل الديني ، فان استعمار فرنسا للجزائر ، قد توافق مع تأجج الروح الصليبية في الحروب التي كانت بين المسلمين والمسيحيين ، حيث كانت الهجومات الصليبية متواصلة منذ القرن الثاني عشر الى غاية غزو الجزائر . ويشكل كل من الاستعداد النفسي للاستعمار والحقد الصليبي ، واجهة متكاملة لنفس حقوده ، وروح صليبية تأججت نارها في الغرب ليحرق بها المغرب الاسلامي ، وفي مقدمته الجزائر . ويبدوا هذا

(1) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 113

جليا من التقرير الذى قدمه وزير الحربية الفرنسي ، لملك فرنسا آنذك الذى أمر بالحملة على الجزائر ، حيث جاء فيه مايلي : " لقد أرادت العناية الالهية أن تستثار جلالتكم ... بواسطة الد أعداء المسيحية ، ولعلة لم يكن من باب المصادفة أن يدعى " ابن لويس" التقي لكي ينتقم للدين . ولعل الزمن يسعدنا بأن ننتهز الفرصة لكي ننشر المدنية بين السكان الأصليين ، وننصرهم ."(1)

— وفيما يخص الأسباب الاقتصادية ، والسياسية ، تجد أن المصلحة المادية ، وعامل النفوذ ، والسيطرة قد أخفيا نسبة كبيرة من الأسباب التي دفعت فرنسا الى استعمار الجزائر ، لان فرنسا في ذلك العهد كانت تعيش مجموعة من المشاكل الاقتصادية (2) ، يضاف اليها الضغط السياسي، الى جانب أنها كانت ترغب في القيام — بعد معاهدة (1815م) — بعمل يعيد لها مافقدته من عظمتها . ذلك لان هذه المعاهدة ، وما سبقها من حروب نابوليون ، أضاع الكثير من أمبراطوريتها وسلطانها .(3)، ومن ناحية ثانية نجد أن الملك في فرنسا كان يريد امتصاص غضب الشعب على الأوضاع الداخلية السيئة ، وما يثبت هذا هو الثورة التي تلت استعمار الجزائر بأيام فقط . فكان الاستعمار الفرنسي للجزائر ، حلا مثاليا لنظام الحكم أنذك ، لانه شد انتباه الشعب بعيدا عن مشاكله الداخلية . بالاضافة الى هذا نجد الظروف السياسية الدولية ، التي كانت كلها في صالح المشروع الفرنسي الاستعماري في الجزائر ، خاصة منها التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية ، وبالضبط بين

(1) أحمد الجزائري — كيف دخل الفرنسيون الجزائر — ص : 11
(2) أنظر — جلال يحي — السياسة الفرنسية في الجزائر — ص : 61
(3) أحمد الجزائرى — كيف دخل الفرنسيون الخزائر — ص : 11

فرنسا وبريطانيا ، فكان على الأولى أن تسرع باستعمار الجزائر لأنها مجال حيوى واستراتيجي بالنسبة لها ، وكذلك لأنها كانت تخشى دائما امتداد النفوذ البريطاني الى الجزائر[1] بالإضافة الى الوضع السياسي للدول الاسلامية الذى كان سيئا ، خاصة بعد الوهن الذى أصاب الدولة العثمانية.

وأخيرا لاننسى حالة الجزائر التي كانت في وضع من الضعف والتشتت الذى لايمكن لنا اهمال مساهمته كسبب غير مباشر في الاستعمار الفرنسي للجزائر . ذلك أنه لايمكن لفرنسا بما توفرلها من الأسباب السابقة الذكر، أن تستعمر الجزائر لوكانت هذه الاخيرة في حالة قوة، لكن وضع الجزائر آنذاك كان وضع سقوط ، عكس وضع فرنسا الذى كان وضع نهضة وتطور .

ج — مراحل تطور المشروع الاستعماري في الجزائر :

— مر مشروع استعمار فرنسا للجزائر ، بثلاث مراحل :
أولها ، مرحلة التمهيد ، التي بدأت بمشكلة الديون بين الجزائر وفرنسا ، حيث نشب الخلاف بين هذه الأخيرة، والداى حاكم الجزائر ، واليهوديين " بوشناق ، وبن يعقوب "[2] صاحبي ، شركة تصدير القمح الجزائرى الى أوروبا . وجوهر هذا الخلاف هو بيع كمية من القمح الجزائرى لفرنسا وتماطل هذه الاخيرة في تسديد الثمن ، وعند مطالبة الداى لفرنسا بالتسديد ، اتفقت فرنسا مع اليهوديين سرا ، على تسوية المشكلة بينهما ، وانكار حق الداى وهذا دون علمه ، مما أنهى القضية بحادثة المروحة المشهورة[3]، وهنا دخل المشروع الاستعماري مرحلة ثانية ، وهي مرحلة الاستعداد للغزو

---

(1) جلال يحي — السياسة الفرنسية في الجزائر — ص : 57
(2) أنظر — جلال يحي — السياسة الفرنسية في الجزائر — ص : 60 — 61
(3) أنظر — جلال يحي — السياسة الفرنسية في الجزائر — ص : 61

اذ أن الحادثة الأخيرة ،قد أعطت المبرر، لفرنسا لتبرير بدأ استعدادها لاحتلال الجزائر، وكان ذلك بتطبيق خطة الحصار سنة (1827م) ، التي لم تفلح الوساطة الدولية في انهائها ، بل بالعكس، سمحت لفرنسا أن تغتنم الفرصة لاكمال استعداداتها ،واتخاذ قرار الاحتلال في (جانفي 1830)[1] وبدأ الغزو الفعال في (5 جويلية) من نفس العام .

— عند هذا الحد بدأت مرحلة ثالثة من عمر المشروع وهي مرحلة الاستعمار والاستيطان ، اذ دخل الفرنسيون الى الجزائر ، وتم طرد الداى ، والشروع في استقدام الأوروبيين ، لتوطينهم في أراضي الأهالي المشردين ، ليكونوا طليعة أوروبية ، تسهر على خدمة المشروع الاستعمارى في الجزائر.

د — مظاهر آثار المشروع الاستعمارى في الجزائر:

— ان الخطة الفرنسية لاستعمار الجزائر ، التي ولدت في كواليس قصر الحكم والحكومة الفرنسية ،قد أصبحت مشروعا ميدانيا بالجزائر . و" من السهولة أن نعرف ما يريد الاستعمار أن يقحمه في المجتمع الاسلامي الحديث ،من عناصر الارجاف ، وعوامل التنافر ، فان مقدرته وطموحه غير المحدودين يوسوسان له بفكرة مجنونة ، دائما هي ايقاف سير الحضارة في البلاد المستعمرة "[2] ، وقد ظهرت هذه الرغبة في شكل آثار مريحة .

— فعلى المستوى العسكرى ،قام الاستعمار الفرنسي بمجازر رهيبة ، لايمكن حصرها ، ولا وصفها ، ونترك هذه المهمة لأحد قادة الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر ، وهو

---

(1) أنظر — أحمد الجزائرى — كيف دخل الفرنسيون الجزائر — ص : 70
(2) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 102

" سان آرنو S. Arno " ، حيث قال في احد خطاباته سنة 1846 ، واصفا احدى معاركه ، : " أحرقنا كل شيء ، ودمرنا كل شيء ، آه للحرب! كم من النساء والأطفال ، الذين لاذوا بثلوج جبال الأطلس ، ماتوا فيها من البرد ، والحاجة ."(1) وانه لوصف بليغ وجيد ، لأحد منفذى المشروع الاستعمارى التدميرى للمجتمع الجزائرى ، ولقد استمرت حلقات هذه السلسلة طوال الوجود الاستعمارى بالجزائر مخلفة سجلا حافلا ، بالاعمال الاجرامية ، لأمثال " سان آرنو " .

ـ وفي المجال السياسي ، منذ احتلال فرنسا للجزائر ، سارعت الى اعادة هيكلة الحياة السياسية بشكل يتوافق ، مصالحها . وتتمثل ذلك في مجموعة القوانين التي أصدرتها ، ابتداءا بقانون (22 يوليو 1834) الذى تضمن تعيين حاكم عسكرى على الجزائرى ، الى غاية الدستور الفرنسي في (27 اكتوبر 1946م) الذى وضع حدا لهذه القوانين ، اذ أعلن ان الجمعية الوطنية لها وحدها الحق في اصدار القوانين ، ولا يمكن أن تفوض ذلك الحق لغيرها .(2) وكان محتوى هذه القوانين ، حصارا وتقييدا للانسان الجزائرى ، وسلبا لحقوقه المدنية والسياسية الى جانب هذا انتهج الاستعمار ، سياسة فرق تسد بين فئات الشعب الجزائرى ، وشجع الفتن الداخلية ، لكي تبقى سياسته هي الأقوى ، وقد تركت هذه المجهودات اثارا سلبية على الحياة العامة للشعب الجزائرى ، خاصة على جانبها السياسي

ـ وفي المجال الاقتصادى ، انعكست آثار المشروع الاستعمارى على الشعب الجزائرى منها ، تركيزه على تفكيك البناء الاقتصادى

---

(1) غي دوبوشير ـ تشريح جثة الاستعمار ـ ص : 268 ـ 269

(2) أنظر ـ عبد الحاطي جلال ـ فرنسا في الجزائر ـ ص : 22 ـ 23

الذى كان موجودا في الجزائر قبل الاحتلال . فنهب الممتلكات واستولى على الأراضي ، وأعطاها للمعمرين الأوروبيين ، وجعل مالكيها الأصليين خدما ، وسخر اليد العاملة لصالح مشاريعه الاقتصادية [1]. ونتج عن ذلك اعادة بناء الاقتصاد بشكل لايخدم الا مصلحته ، من خلال سيطرته على كل القطاعات الحساسة في هذا المجال ، وتوجيهها لخدمة الأهداف الخاصة التي حددها [2]. وأحسن مثال لتوضيح هذا الجانب ما قام به الاستعمار الفرنسي ، من عمل مخطط للقضاء على نظام الملكية المحلي ، الذى كان قبل الاستعمار ، بمثابة العمود الفقرى للاقتصاد الجزائرى وهذا من خلال المراسيم التي أصدرها — الاستعمار — ، وهي " مراسيم 1844 — 1846 ، ومرسوم مجلس الشيوخ عام 1863 ، وقانون العام 1873 ، المعدل في 1879 . " [3] وكلها كرست تحويل ملكية الأرض من يد الجزائريين الى أيدى المعمرين الأجانب ، وبالتالي افقار الجزائريين ، وجعلهم تابعين للاستعمار ، بدل انفصالهم عنه ، في علاقات متكاملة ، كما كانوا قبل الاحتلال .

— أما فيما يخص الميدان الثقافي والتربوى ، فقد أدرك الاستعمار منذ دخوله الجزائر ، أن المؤسسات العلمية والتربوية المتمثلة في المساجد ، والزوايا ، ودور العلم والكتاتيب ، هي مراكز لها دورها الفعال في تحريك وتوجيه المجتمع الجزائرى وأنه مالم يقض عليها ، فانه لن يستطيع الاستقرار في هدوء . وهذا ما أثبتته الوقائع ، عبر التاريخ الاستعمارى للجزائر ، اذ أن أغلب المقاومات الشعبية ، ضد الاستعمار كان مصدرها المساجد والزوايا ، وقادها العلماء أو شيوخ الزوايا . فعمل الاستعمار بكل الوسائل على تدمير هذه القاعدة الأساسية

(1) أنظر — هنرى كلود . . . — الاستعمار الفرنسي — ص : 25
(2) عبد العاطي جلال — فرنسا في الجزائر — ص : 58
(3) مغنية الأزرق — نشوء الطبقات في الجزائر — ص : 52

للمجتمع الجزائري . وقد شهد على ذلك " أوجين كومب E Gen Comb " (1) وتوصلت سياسة الاستعمار المذكورة كما يقول " مالك بن نبي " الى درجة " تقرير مصائر الأطفال في مدارسهم ، فما أن يبدأ التلميذ امتحانه في الشهادة الابتدائية حتى ... يتآمرون عليه ،كي لا يصبح مستعمرا ... متفوقا على زملائه من أبناء الاوروبيين . " (2)

(1) أنظر — عبد الناطي جلال — فرنسا في الجزائر — ص : 44

(2) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 105

الفصل الثاني

الملامح التربوية في المشروع الاستعماري

2 ـ 1 : مقدمة

2 ـ 2 : التربية الاستعمارية في الجزائر

أ : أسس التربية الاستعمارية في الجزائر

ب : أهداف التربية الاستعمارية في الجزائر

ج : منهج ومحتوى التربية الاستعمارية في الجزائر

د : السياسة التربوية الاستعمارية في الجزائر

2 ـ 3 : التعليم الاستعماري في الجزائر .

أ : التعليم العام الرسمي

ب : التعليم التبشيري

2 ـ 4 : اثار التربية الاستعمارية في الجزائر .

ـ الملامح التربوية في المشروع الاستعماري

2 ـ 1 : مقدمة :

ـ نتطرق في هذا الفصل ، الى الملامح التربوية الاساسية ، للمشروع الاستعماري ، الفرنسي ، وذلك للاهمية التي يكتسيها هذا الجانب ، باعتباره يمثل الاداة الطيعة والفعالة ، التي عن طريقها تتحقق أهداف هذا المشروع . بناءا على ذلك نركز ، في هذا الفصل على ماهيته ، ومحتوى ، واهداف النظام التعليمي الاستعماري المخصص لابناء الامة الجزائرية . كما سنحاول توضيح أن هذا النظام ، لم يكن الهدف منه ترقية الانسان الجزائري ، بل كان ـ التعليم الاستعماري ـ بمثابة تحد لثقافة هذه الامة ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، ونصل في نهاية هذا الفصل الى أن العمل الذي قام به ابن باديس لم يكن الا مشروعا تربويا قائما على أسس التحدي ، لما كانت فرنسا بقواتها الفكرية ، والمادية تحاول الوصول اليه في هذا المجتمع العربي المسلم .

2 ـ 2 : التربية الاستعمارية في الجزائر.

ـ مثلت التربية التي أوجدها الاستعمار الفرنسي ،في الجزائر احد المجالات الاساسية لمشروعه ،ذي الأهداف الاستغلالية. تجسدت هذه التربية ،في عمل استراتيجي ،ثنائي الهدف غاية الاول منه القضاء على النموذج التربوي المحلي الذي كان موجودا آنذاك ،أما هدفه الثاني فهو اقامة النموذج التربوي الاستعماري ،الذي يعتبر احدى الحلقات الاساسية من المشروع الاستعماري.

ـ أما الهدف التهديمي ، فيفسره ماذكرناه سابقا عن نفسية الانسان الغربي ،الذي من ميزاته الكامنة داخله ،احساسه بالتفوق والامتياز على غيره من العناصر البشرية الأخرى ،ورغبته في سحقهم . وقد كانت هذه الميزة بادية في تصرفات الاستعمار الفرنسي ، "فمن أجل ان يستقر في الجزائر ، وجد نفسه في حاجة الى تقليل المقاومة ،كل مقاومة شعبنا ،وان ياخذ منه الرغبة والقدرة في مواجهة استعباده واستغلاله "(1).

ولم تكن التربية بعيدة عن هذه السياسة التدميرية ،اذ ما أن احست فرنسا باستقرار الارض . تحت سلطانها ،حتى بدأت تعيث فسادا في مراكز التربية(2)، امعانا في تنفيذ مشروعها التدميري ،فمثلا " كان في مدينة الجزائر ،وحدها يوم وطأتها أقدام الغزاة الصليبيين الفرنسيين مائة وستة (106)،مسجدا وعندما حرر المسلمون الجزائريون بلادهم سنة 1962 ،لم يكن في الجزائر أكثر من ثمانية مساجد فقط ،وهكذا اختفى 98 مسجدا، كانت من اعظم منارات الدنيا ."(3)

(1) Saddia et Lakhdar – l'aliénation colonialiste ... p 89 -
(2) أنظر : Marcel Egretaud – Réalité de la nation Alg.. p 63 -
(3) بسام العسيلي ـ ابن باديس وبناء قاعدة الثورة ـ ص: 29 .

ـ أما الهدف الثاني من المشروع الاستعماري في التربية، فهو اقامة النموذج التربوي الاستعماري ، متمثلا في المؤسسة التعليمية بنوعيها ، الرسمي ، والخاص . التي اقيمت من اجل اكمال تهديم ما خلفته سياسة الحديد والنار في المجتمع الجزائري ، وحضارته ، اذ في " مقابل القضاء على التعليم الاسلامي الذي حافظ على شخصيته ، منذ قرون ، نشطت القوى الاستعمارية ، في تركيز المدارس، خاصة للتعليم على النمط الفرنسي ، لتمسخ الاجيال وتنشئ العملاء"(1)، واستخدمت لهذا جهازا ضخما ، رأسه في فرنسا ، المكون من وزارة المستعمرات وابناء الكنيسة ، وفروعه في الجزائر ، تتفث سمها خاصة اذا علمنا أن هذا يحدث في الوقت الذي كان الانسان الجزائرى يئن تحت ثلاث سلطات ، سلطة القائد ، وسلطة المعمر، وسلطه الجهاز الادارى الفرنسي .(2) هذه السلطات مجتمعة لم تترك له اي فرصة للدفاع أو الرد ، فكان الموقف خطيرا ، على وجود ، وهوية الانسان الجزائري .

ـ آ ـ أسس التربية الاستعمارية في الجزائر :

ـ الاسس التي انطلق منها الاستعمار في بناء تربيته الاستعمارية في الجزائر ، متعددة ، ومتداخلة منها ما يعترف به ومنها ما ينكره ، لكن الميزة المشتركة بينها ، أنها كانت جميعا في خدمة المشروع الاستعماري ، ضد المجتمع الجزائري ، وحضارته وقد قسمنا هذه الاسس ، الى أسس خاصة بالاستعمار، وأسس عامة تتعلق بالعوامل الاخرى . وقد تم هذا التقسيم بهدف التمكن من تفصيل هذه الاسس ، وتبسيط دورها ، وغايتها .

---

(1) صلاح الدين الجورشي ـ تجربة في الاصلاح . . . ص: 9 ـ 10 .
(2) انظر - J.M. dourlaire et... - officiers en algerie-p79

— أما الأسس الخاصة بالاستعمار، فأولاها الشخصية الاستكبارية للاستعمار الفرنسي، وتصوره للانسان، والحياة اذ أن الاوربي " لم يصطحب ... عندما حل بالعالم الاسلامي في مطلع القرن الاخير من العالم المسيحي سوى بعض استعدادات تلك النفس " الطيبة " التي تكشف النظرة الفاحصة داخلها، عن مجمع الفضائل الجذبية، تميزت بها نفس مغلقة تجاه المسلمين ."(1). وكان الاستعمار الفرنسي في نشاطه العام، والتربوي خاصة، قد اتخذ من هذه الصفات الشخصية مبدأ أساسيا، وبهذا كان مهيئا سلفا للقيام بهذا النوع من الاعمال اللاانسانية، واللا أخلاقية .

— يضاف الى ما ذكر، أهمية التربية في عملية الاستعمار، اذ كما سبق وأن أسلفنا الذكر، فان للتربية اهمية، بالنسبة للمجتمع، وقد اكتشف الاستعمار هذه الاهمية، وأدرك انه لن يستطيع أن يحقق غرضه ، في تفكيك المجتمع وشل حركته الا اذا سيطر على التربية، لانها الوسيلة الفعالة التي " يمكن بها السيطرة على أسلوب الحياة في مجتمع ما "(2). كما مكنت معرفة الاستعمار، بالواقع الجزائري ، نتيجة دراساته الاستراتيجية التي قام بها قبل دخوله الى الجزائر سنة (1830)، مكنته من تحديد أسس علمية دقيقة لمشروعه في الجزائر، لان الاستعمار كما يقول " مالك بن نبي ": " لا ينصرف في طاقتنا الاجتماعية الا لأنه درس أوضاعنا النفسية، دراسة عميقة، وأدرك منها مواطن ضعفنا "(3)، وبالتالي يتمكن بعد ذلك من تنفيذ مخطط يجد

---

(1) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 41 .

(2) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع..... ص : 72 .

(3) مالك بن نبي — شروط النهضة — ص : 210 .

صداه لدى الانسان والمجتمع المقصود استعماره ، ويلاقي النجاح لديه . ولقد كان للمستشرقين الدور الكبير في هذه الدراسات .[1] وكانت الوضعية في الجزائر أخطر، لمشاركة أطراف أخرى في هذه المهمة ، مثل : المبشرون والجواسيس والعملاء ، بالاضافة الى هذا نجد أن فوائد الاستعمار كانت وراء اقامته لنموذجه التربوى الاستعمارى ، وهذا تبريرا لتوجهه النفعي ، لذا انطلقت تربيته الاستعمارية من المصلحة الذاتية ، التي جسدت الدافع الغريزى للانسان الفرنسي في حب التملك والسيطرة على أكبر قدر ممكن من المجال الحيوى .

— أما الأسس العامة ، فهي تتعلق بالوضع العام للجزائر أنذاك ، والتي جعلت الاستعمار الفرنسي يركز على الجانب التربوى ، خاصة وظيفة الهيكل التربوى قبل (1830م) في المجتمع الجزائرى . فالفرنسيون أنفسهم يعترفون بأن الوضع التربوى في الجزائر ، قبل الاحتلال كان جيدا ، وكان الهيكل التربوى يؤدى دورا مهما بالنسبة للمجتمع الجزائرى ، و في هذا المجال يقول أحد كتابهم " أن التعليم والحركة الثقافية قد بلغت مستوى عال نسبيا ، قبل مجيء الفرنسيين في 1830 "[2] ، ويشهد أيضا " أوجين كومب "[3] أن التعليم في الجزائر قبل (1830م) ، كان مزدهرا ، وكان هناك اكثر من (ألفي 2000) مدرسة ابتدائية ، وثانوية ، وعالية ، يؤمها جمع غفير من الطلبة الملتزمين ، والشيوخ الأكفاء ، وكان الدور الجوهرى الذى تقوم به التربية في المجتمع الجزائرى هو الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية . وقد تنبه الاستعمار لهذا ، فعمد لضرب النظام التربوى للمجتمع الجزائرى ، بغرض تفكيكه وتفسيخه ، وأدرك أنه لن يكتمل عمله

---

(1) محمد الدسوقي — الاسلام والاستشراق — ص : 30
(2) Marcel Egretaud - Réalité de la notion algérienne - p 164 -
(3) عبد العاطي جلال — فرنسا في الجزائر — ص : 44

الا باقامة مشروع مناقض، يعوض به النظام الأصلي .

– ومن جهة أخرى ، لايمكن للاستعمار أن ينجح في نشاطه الا اذا توفرت له شروط معينة ، في المجتمع المستعمر أو مايسمى ب " قابلية الاستعمار " [1] وهي تركيب نفسي ،اجتماعي للانسان المستعمر جعل المجتمع الجزائرى يفشل في صد فرنسا عن بلاده ، والدفاع عن نفسه ، وتمثلت هذه القابلية في جانب التربية ، في الجمود ، والركود التي كانت تعانيه أنذاك ، وهذا بالبرغم من وجود الامكانات ، من علماء ، ومدارس ، الا أن الثقافة كانت ضعيفة ، تعتمد على الأدب العربي شعرا ونثرا ، وعلى القواعد النحوية ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، وقليل من علوم الفلك ، والرياضة والفلسفة ، والتاريخ [2] هذا في الوقت الذى كانت أوروبا تشهد ثورة علمية وصناعية ، مكنتها من غزو المجتمع الجزائرى وانهزامه أمام جيوش الاستعمار التي دمرت حصونه ، ومعالم حضارته .

<u>ب – أهداف التربية الاستعمارية في الجزائر :</u>

– لاتختلف الأهداف الأساسية للاستعمار ، لكنها تتمايز في خصوصياتها ، من دولة الى دولة أخرى ، وأهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر هي الاستغلال . ولقد اتخذ من التربية أداة لتوصيله الى بعض هذه الأهداف . حاولنا بقصد تبسيطها أن نقسمها ، الى أهداف مباشرة سعى الاستعمار الى تحقيقها في المدى القريب ، وأهداف غير مباشرة كان يرغب في تحقيقها على المدى البعيد .

– وتتلخص الأهداف المباشرة في : العمل على تفكيك هيكل

---

(1) مالك بن نبي – شروط النهضة – ص : 231
(2) رابح تركي – ابن باديس... ص : 96

المنظومة التربوية الأصلية في الجزائر ، لأن الوظيفة الاستعمارية ، كانت تتعارض مع التربية الأصلية .. فكان أن زرع مقدم الفرنسيين الهلع والفوضى في أوساط المفكرين والأدباء وشتت شملهم ، بتهديم مراكز العلم ، ومطاردة العلماء وتشتيت الطلبة ، والاستلاء على الأوقاف ، والموافق العامة[1] المرتبطة بالتربية مما أدى الى اختلال الحياة الاجتماعية كلها ، تأثرا باضطراب شبكة العلاقات الاجتماعية ، لكون هذه الأخيرة هي البنية الأساسية لأى مجتمع ، ولأى حضارة ما ، فقد قصدها الاستعمار من وراء تربيته الاستعمارية ليقوض بذلك دعائم المجتمع الجزائرى ، ويحوله من مجتمع الى جموع من البشر ، لا تماسك ولا تناظم بينها ، ولا ترابط بين أفرادها ، فيسهل استغلال المجتمع ، لأن أى مجتمع يصاب في صميم علاقاته الاجتماعية تختل دورته الحضارية[2] لأن تعطلها يشل ارادته عن أداء أى عمل مشترك . وقد كان هذا هو الهدف الأساسي للاستعمار الفرنسي في الجزائر ، كضرورة لمشروعه الاستعمارى ووجد في الجانب التربوى ، ضالته التي توصله الى هذا الهدف . وأدرك الاستعمار أنه لا يمكن أن يقيم ، مجتمعه ، ودولته وسلطانه ، طالما وجد هناك مجتمع جزائرى . يبطل مشروعه فعمد الى " بث عناصر الارجاف ، وعوامل التنافر ، لأن مقدرته ، وطموحه غير محدودين ، يوسوسان له بفكرة مجنونة دامية هي ايقاف سير الحضارة . . . "[3] ، ويشكل كل ذلك أول خطوة من مرحلة التهميش الحضارى للمجتمع الجزائرى ، التي ان تمت كانت مبتغى الاستعمار ، وايذانا ، بانطلاق مشروعه التخريبي .

---

(1) أنظر 164 — 165 p Marcel Egretaud - Realite de la notion al.. -

(2) أنظر — مالك بن نبي — ميلاد مجتمع — ص : 39 — 40

(3) مالك بن نبي — في مهب المعركة — ص : 12

ـ أما الأهداف غير المباشرة ، والبعيدة المدى ، فتكمن في تفكيك المجتمع الجزائري ، واستخدمت التربية لفصل الشعب الجزائري عن أصوله الحضارية ، التي تعتبر أسسا ضرورية لقيام كيانه ، وبقائه ، ومن الأمور الاستراتيجية ، التي وضعها الاستعمار في مشروعه التربوي ، هي تشكيك الانسان الجزائري في أصوله الاسلامية العربية ووضع القطيعة بينه وبينها . وفي هذا الصدد ، " نشطت القوى الاستعمارية في تركيز مدارس خاصة للتعليم على النمط الفرنسي لتمسخ الأجيال ... "(1)، كما عمل الاستعمار على ايجاد نخبة متغربة ثقافيا ، لكي تساعده في استغلال البلاد ، وفي هذا يقول " أنور الجندي " أن الاستعمار قد حرص " على تخريج مثقفين عملاء يتثقفون بالثقافة الفرنسية ، ويؤمنون بها ، ويزدرون الثقافة العربية . "(2) وكان دور هؤلاء خطيرا ، لأنهم مثقفون يخدعون الشعب بشكلهم ومراكزهم الاجتماعية ، ولقد تمكنوا فعلا من خداع الشعب الجزائري ، وتحريف قضاياه ، وتبديد جهده بالاضافة الى هذا عمد الاستعمار الى اعداد يد عاملة مسخرة لسد الفراغ الاداري ، بغرض سد الاحتياج الاداري ، فاختار ثلة معينة من الشعب ، ليشكل منها القطيعة التي تعوزه في حركة التنمية الاستعمارية وكان ذلك سهلا عن طريق تربية مكيفة لهذا الغرض ، جردت الانسان من كل خصائص الثقافة الفعالة لتخضعه الى التعليمات ، والمواد القانونية الادارية ليتحول هذا المتعلم في النهاية الى موظف في ادارة الاستعمار .

ـ وتوجت أهداف التربية الاستعمارية السابقة الذكر ،

---

(1) صلاح الدين الجورشي ـ تجربة في الاصلاح ... ص: 9ـ 10 .

(2) " " " " ... ص: 7 .

بتحقيق المشروع الاستعماري الكبير، وهو الحاق الجزائر بفرنسا، قصد جعلها أرضا وشعبا فرنسيا، من الدرجة الثانية والحقيقة أن هذا الهدف الاخير هو الاساس لكل الجهد الذي بذلته فرنسا في الجزائر، وغاية كل الادوات المختلفة التي تم استخدامها، ومنها التربية الاستعمارية الا وهو العمل على " تكريس الاحتلال والادماج والقضاء على الثورات الوطنية التي توالت ضد الاستعمار الفرنسي ."(1) فكانت أهداف التربية الاستعمارية بمثابة التحدي للمجتمع الجزائري كوجود تاريخي، وحضارة متميزة عن حضارة الغرب، والوقوف دون الرد على هذا التحدي، هو السماح بفناء وجود هذا المجتمع وحضارته، وبالتالي فان المواجهة والتصدي هي الموقف التاريخي الصحيح .

ج — منهج ومحتوى التربية الاستعمارية في الجزائر :

— يقول أحد الاختصاصيين التربويين " يجب أن يشمل المنهج على المواد التي تلائم الطفل في المراحل الدراسية المختلفة التي يمر فيها، مهيئة له الاجواء المناسبة، لابراز مواهبه وكفاءته وقدراته المتطورة . . ."(2) وهذه القيم التربوية المثالية لا تخص بلد دون بلد، ولانظام دون نظام آخر، ولكنها أسس علمية يفترض توفرها في منهج ومحتوى أية منظومة تربوية . والسؤال المطروح هو الى أي مدى تجسدت هذه المعايير في المنظومة التربوية التي أقامها الاستعمار، وهنا نلاحظ أن التربية الاستعمارية عملت على تحقيق أهدافها الاستعمارية، قبل أن تكون أداة لتعليم الناس وترقيتهم، وبالتالي ساء حال المتعلمين، وكما يقول " مالك بن نبي " :" بل ان المدرسة الاستعمارية، ساهمت في خلق هذا الوضع السيء

(1) صلاح الدين الجورشي — تجربة في الاصلاح . . . ص: 7 .
(2) كامل سليمان وعلى عبد الله — التربية — أصولها وطرقها . . . ص: 86 .

اذ لم تكن تهتم بنشر عناصر الثقافة الاوروبية بقدر ما تحرص على توزيع نفاياتها التي تحيل " المستعمر" عبدا للاقتصاد الاوروبي ،فهي لا تسعى لاكتشاف تلاميذها او دفع مواهبهم وانما تسعى الى خلق آلات ذوي كفاءة محدودة ."(1) حيث أغرقت سياسة الاستعمار أغلبية الشعب الجزائري في الامية، ورمت المتعلمين القلة ،في سفينة التيه الثقافي ،فكانوا أدوات مجردة من أي بعد حضاري ،بل ان الكثير منهم ،صار اداة هدامة لحضارة امته ،واصالتها ،وبهذا نستنتج ان التربية الاستعمارية كانت مجردة من أي قيمة تربوية علمية ،لانها بنيت على اسس لا انسانية ، الهدف منها فقط ،هو تدمير النظام التربوي الاصلي، وبنية المجتمع الجزائري ،من اجل تمكين الاستعمار من بسط مشروعه الاستغلالي لامكانات البلاد الطبيعية والبشرية .

— د — السياسة التربوية الاستعمارية في الجزائر :

— تميزت السياسة الاستعمارية في الجزائر ،دائما ،بالتكامل والضبط التقني ،والهادفية ،لذا عندما أراد الاستعمار السيطرة على الجانب التربوي عمد الى تطبيق سياسة تربوية مخلصة للهدف الاستعماري ،بواسطة ثلاثة وسائل ذكرها ." رابح تركي في احدى دراساته حول الموضوع .

— أولى هذه الوسائل هي الفرنسة (2) التي اعتمدتها فرنسا للوصول الى هدفها المذكور سابقا ،وهو مسخ الشعب الجزائري ،وفصله عن اصوله التاريخية وضرب لغته العربية التي تجسد احدى هذه الاصول والاطار المادي الذي حوى فكره ، وحفظ شخصيته . لذا عمل الاستعمار الفرنسي على ضرب اللغة العربية وتعويضها باللغة الفرنسية ، وليس هناك

---

(1) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 59

(2) أنظر — رابح تركي — التعليم القومي والشخصية الجزائرية — ص : 106 108

ما هو أوضح في هذه النقطة من قانون (24 ديسمبر 1904) [1] الذى صادر حرية تعليم اللغة العربية ، بهدف افساح المجال للفرنسة ، لتعمل عملها في شخصية الانسان الجزائرى . وليست الفرنسة مجرد استبدال لغة بلغة، انما هي عملية أعمق وأخطر من ذلك لأن اللغة بالنسبة للمجتمع والأمة ، ليست مجرد كلمات أو جمل أو كتب . . . انما هي وحدة أساسية من وحدات التركيب النفسي الاجتماعي ، حيث أن البناء المتوازن لهذا التركيب يجعل من اللغة كائنا حيا ، له ميزاته الخاصة ، غير الموجودة في اللغات الاخرى ، هذه الميزات التي تمتزج بعناصر التركيب الاخرى ، وتتفاعل معها فتشكل كيانا متناسقا متناغما ، نسميه شخصية المجتمع التي يشترك فيها جميع الأفراد ، وتكون بمثابة زى موحد غير مرئي ، يجمع كل أفراد المجتمع ، وهو ما كانت التربية الاستعمارية تستهدف القضاء عليه لأن ذلك ضرورى لبناء المشروع الاستعمارى الكبير .

— أما الوسيلة الثانية للسياسة التربوية الاستعمارية تتمثل في : التنصير [2] الذى يعد وسيلة خطيرة ظاهرها رحمة وباطنها عذابا ، عملت كنيسة الاستعمار من خلاله على عرض الديانة المسيحية على الناس ، محاولة التخفيف من الامهم الروحية المتمثلة في (كفر المسلمين) ، وكذا التخفيف من الامهم المادية ، من فقر وجوع ومرض هذه الآلام التي زرعتها جيوش المحتل ، أما أهداف سياسة التنصير العميقة، فكانت جعل الناس مسيحيين [3] أى تركهم لدينهم الأصلي وهو الاسلام ، ثم اعتناق الديانة المسيحية للخلاص، وهذا دون

---

(1) أنظر — صلاح الدين جورشي — تجربة في الاصلاح — ص : 9
(2) أنظر رابح تركي — التعليم القومي والشخصية الجزائرية — ص: 109 ، 112
(3) أنظر — عماد شرف — حقائق عن التبشير — ص : 56

محاولة رفع مستوى هؤلاء الأهالي ، الى مستوى المسيحيين الأوروبيين . وهذا لأن الاستعمار والمبشرين ،كما يقول ـ"جنبيير ـ Jean pierre " " لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام"[1] بل كانت أهدافهم الحقيقية تدمير بنية المجتمع الجزائرى ، وافراغ مخزون الحقد الصليبي المتوارث عبر الأجيال ، واستسهال استغلاله سياسيا ،واقتصاديا ، وتكفلت الكنيسة بهذا الدور عن طريق التربية التبشيرية التي عملت على نشرها في أوساط المجتمع الجزائرى ، حيث أساء المبشرون الى أشرف مبادئ الانسانية ، الى العلم الذى اتخذوا منه أداة للتبشير[2] وثبت مرة أخرى أن الفلسفة الميكافيلية ، حاضرة في جميع تعاملات الغرب مع غيره ، حتى في الدينية منها .

ـ أما الوسيلة الثالثة للسياسة التربويه الاستعمارية فكانت ، الادماج [3] التي تعتبر وسيلة مغربية ، وخطرها يكمن في أنها تجد صداها لدى بعض ضعاف النفوس من الجزائريين ،الذين كانت شخصياتهم تتشبع بمقولات التربية الاستعمارية ،فكانوا جاهزين للادماج الشكلي ،داخل المجتمع الفرنسي ،ليس من أجل انصهارهم الفعلي داخله ، ليتنعموا بنحمه مثل أبنائه ، وانما ليكونوا خدما ، ومعولا طيعا في يده لهدم أمتهم ، وتصدق عنا مقولة " محمد اقبال " حين صور التعليم الاستعمارى في العالم الاسلامي ، قائلا " ان التعليم هو " الحامض " الذى يذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يكونها كما يشاء . . . وان نظام التعليم الغربي ، انما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة . " [4] وان توصل الاستعمار

---

(1) شارل جنبيير ـ نشأة المسيحية وتطورها . . . ص : 209
(2) أنظر ـ مصطفى خالد وعمر فاروخ ـ التبشير والاستعمار . . .ص : 76
(3) أنظر ـ رابح تركي ـ التعليم القومي والشخصية ـ ص : 112 ـ 115
(4) أبوالحسن ، على الحسني الندوى ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ـ ص : 184

الى دمج بعض الجزائريين في جسمه ،فذلك راجع الى قابلية الاستعمار والانحلال والاستضعاف لدى هؤلاء المندمجين الذين عانت منهم الجزائر أشد مما عانت من الاستعمار الفرنسي نفسه .

2 — 3 : التعليم الاستعماري في الجزائر .

ـ التربية عملية أشمل من التعليم ، وما التعليم الا أداة من أدوات الاكتساب التي تستخدم في العملية التربوية، مثل وسائل الاعلام والكتب ، ولهذا فكل ميزات التعليم ميزات للتربية، والعكس ليس صحيح .[1] وعذلك يبقى التعليم ، الأداة أو التقنية الرئيسية للتربية ، وتأتي الوسائل الأخرى لتكون مكملة فقط لدوره ، لهذا نركز في تقصينا لملامح التربية الاستعمارية في الجزائر ، على التعليم الاستعماري ، المكون من نوعين هما : التعليم العام الرسمي التابع للسلطة الحاكمة ، والتعليم الخاص الخاضع للاشراف الخاص ، الذى يشكل التعليم التبشيرى منه الجزء الأكبر . ونحاول فيمايلي تناول كل نوع على حده .

أ ـ التعليم العام الرسمي :

ـ تكفلت السلطات الاستعمارية الفرنسية ، بالتعليم العام، منذ السنوات الأولى من دخول الجزائر[2] وكان أول الأمر خاصا بالاوروبيين الوافدين الى الجزائر ، لكن بعد ذلك بدأ يتوسع شيئا فشيئا استجابة لحاجة فرنسا المتمثلة، في تحقيق أهداف مشروعها ، خاصة في النصف الثاني من القرن الماضي وبالضبط ، أيام " نابوليون الثالث III " الذى كانت له رؤية استعمارية متطورة عن سابقيه . ومع بداية القرن الحالي بدأ التعليم الرسمي الاستعمارى ، ينتظم ويتهيكل بشكل أكثر انضباطا ودقة ، خاصة بعد عودة التعليم الأصلي الى الظهور عن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مما دفع الاستعمار الى تسريع نمو القطاع التعليمي الرسمي ،

---

(1) أنظر ـ كامل سليمان وعلي عبد الله ـ التربية ـ أصولها وطرقها . . .ص: 180

(2) أنظر ـ رابح تركي ـ عبد الحميد بن باديس . . .ص : 134 ـ 144

ولو على حساب النوعية ، والمستوى . وقد كان هدف المدرسة الفرنسية تجاه الجزائريين وطوال وجود الاستعمار بالجزائر هو " الحمل على حملهم ، على تشرب روح العظمة الفرنسية ، وخلق ساعد قوى ، منهم لفرنسا ، وبالتالي ادماجهم في شعبها ، وحملهم على التجنس بجنسيتها ، وليس رفع مستواهم الذهني والفكرى والاجتماعي والحضارى ، والثقافي . "[1] وتنطبق كل الأهداف التي ذكرت سابقا للتربية الاستعمارية ، على أهداف التعليم الرسمي الاستعمارى . وهي في نهاية المطاف تدمير بنية المجتمع الجزائرى ، والحاقه تابعا ، خادما للإستعمار الفرنسي .

- أما عن امكانيات التعليم الرسمي ، فنلاحظ أن هذا الاستعمار لم يترك شيئا للصدفة ، بل عمل على تقنين امكاناته ، حتى لا يصبح هذا التعليم مفيدا ، وحاول تدعيم الجانب السلبي منه فقط ، فمثلا . " كان فقدان التعليم ناتجا ، ليس فقط عن عدم كفاية المخصصات والاموال اللازمة ، بل عن سابق تصميم وارادة من المجالس البلدية والاقليمية . "[2] هذه الاخيرة التي أنشئت بهدف تطبيق ، مايملى عليها وإن ارادة تضييق الخناق على التعليم وتجريده من الامكانات ، جعلته يفقد ميل الناس اليه ، ولا يحقق النتائج الايجابية ، بل لا يحقق حتى بعض النتائج التي خطط لها الاستعمار ، حيث بلغت نسبة المتعلمين في المرحلة الثانوية (1 لكل 17 ألف جزائرى) مقابل نسبة (1 لكل 200 أوروبي) [3] . وهذا يدل على الامكانات الفقيرة لهذا القطاع من ناحية ، وعلى . تقييده بقيود العنصرية ، تماشيا مع المخطط الاستعمارى التجهيلي للشعب الجزائرى ، الذى

---

(1) رابح تركي - عبد الحميد بن باديس ، . . . ص : 131

(2) هنرى كلود - الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي - ص : 122

(3) أنظر - هنرى كلود - الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي - ص : 123

دفع الثمن بنسبة أمية بلغت (94،9٪) بين الرجال، و (98٪) بين النساء. (1)، بالاضافة الى تحرز الجزائريين من هذا التعليم غير النزيه. (2)

— الهيكل التربوي للتعليم العام الرسمي :

— ويقصد بالهيكل التربوي، مجموعة الوسائل والأدوات الأساسية في عملية التعليم، ونلتزم هنا بالوسائل التالية: المدرسة المعلم، المنهج، والمحتوى. ونشير مسبقا الى أن امكانات "التعليم في المدارس الخاصة بالجزائريين كانت أدنى مستوى من امكانيات التعليم في مدارس أبناء الأوروبيين من حيث المعلمين والتجهيزات المدرسية، والوسائل التعليمية، والبرامج الدراسية، والأبنية، وغيرها". (3)، فالمدرسة النموذجية تربويا، وصحيا، ونفسيا، لابد أن تكون " في موقع ممتاز حسن الجو، في مكان مشرف أو منبسط فسيح، والهواء النقي، والوسط النظيف الذى ينشط الأجسام ويجدد القابليات " (4) وهذه الشروط لم تتحقق في المدارس التي أنشأها الاستعمار الفرنسي للأطفال الجزائريين، لأن الادارة ومن ورائها المستوطنين كانت رغبتهم الدائمة، القضاء على كل نوع من أنواع التعليم. والشواهد الواقعية التاريخية التي مازالت قائمة، تؤكد أن المدارس التي توفرت فيها الشروط الصحية المذكورة، كان يدرس فيها أبناء الأوروبيين، ومن الصعب على الجزائريين الالتحاق بها، أما المدارس القليلة المنتشرة في المناطق الريفية، فكانت لا تصلح الا الا لتأدية مهمتها الاستعمارية التي تتمثل في التغريب والفرنسة

(1) أنظر رابح تركي — التعليم القومي والشخصية الجزائرية — ص : 95
(2) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 151
(3) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 149
(4) كامل سلمان وعلي عبد الله — التربية أصولها . . . ص : 5

فقط. كما أن عدد المدارس ذاته لم يكن ثابتا، بدليل أنه " في 1830 كانت توجد 36 مدرسة تضم 6000 تلميذ، ثم بدأ المستوى يهبط تدريجيا منذ ذلك التاريخ... لذلك تقلص عدد المدارس ووصل في عام 1880 الى 16 مدرسة كانت تضم 3672 تلميذا." (1)

— أما عن المعلم فيقول "كرشنستانير- Creching steiner " أحمد علماء التربية واصفا اياه "ان المربي الحقيقي هو المثال الحي في حبه للآخرين وتلك هي وجهة النظر التي يجب اقناع بها من يريدون هذه المهنة وتنميتها في نفس من ليست عندهم أصلا " (2) فمهمة التعليم قبل كل شيء، هي مهمة انسانية، فأين هذا من المعلم الاستعماري الذي قدم الى الجزائر لخدمة مشروع، هدفه الأساسي تدمير وتفسيخ المجتمع الجزائري، وكانت بذلك مهمة المعلم الاستعماري مناقضة كليا للمعايير التربوية والعلمية، وحتى وان كان هذا المعلم الاستعماري بريئا، فان موقفه داخل المشروع الاستعماري، موقع سلبي، مهما كان رأيه واحساسه الخاص، ويكفي أن يلقن تلاميذه منذ الأسبوع الأول :" كانت بلادنا تسمى قديما " الغال la gaule " وأجدادنا يسمون " الغاليون - Les gaulois " (3) ويكون بهذا خاضعا لمقاييس المشروع الاستعماري، لا للمقاييس التربوية العلمية.

— أما المنهج، فبيداغوجيا، هو الطريق الأفضل الذى يختار للوصول الى الأهداف التربوية، انطلاقا من المبادى الأساسية التي تحددها الهيئة المسؤولة عن التربية، وللمنهج سمات علمية، تربوية، من الضروري توفر أدنى حد منها لضمان فعاليته وضمان الصحة النفسية للأطفال موضوع التربية

(1) هنري كلود — الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي — ص : 49
(2) كامل سليمان وعلي عبد الله — التربية، أصولها...ص : 109
(3) عبد الحاطي جلال — فرنسا في الجزائر — ص : 48

ومن هذه السمات " التعرف على ميول الطفل ورغباته ، وقدراته وكشف النقاب على مميزات بيئته ... ومشاكل المجتمع الذى ينتمي اليه ... ثم اثارة رغبته في تطوير ميوله ورغباته ، وانماء طاقته ، للتمكن من التأثر بمميزات البيئة ، والتأثير فيها ، ومواجهة مشاكل المجتمع ومعالجتها ، والاشتراك في تحمل مسؤليتها ."[1] ، هذه هي القاعدة العلمية التربوية للمنهج الاستعمارى المعادى باهدافه للمجتمع الجزائرى ، لانه لمو بحثنا في مناهج المدارس الابتدائية التي انشأها الاستعمار الفرنسي لأبناء الجزائريين ... فاننا نجدها فرنسية 100٪ ... فاذا بحثنا في حظ اللغة العربية في مناهج المرحلة الثانوية فاننا نجده ضئيلا للغاية "[2] وبهذا كانت المناهج التعليمية استعمارية لا تربوية ، ونتيجة للضرورة التاريخية والصراع الحضارى بين الغرب والاسلام ، انطلقت صبغة الصراع حتى على دقائق الامور التربوية ،كالمنهج ، ومحتوى هذا التعليم ، ومواده العلمية التي يملأ بها المنهج الدراسي لتقدم للطفل بشكل ممنهج . ويجب أن يشمل المحتوى من الناحية العلمية على المواد التي تلائم الطفل ، في مراحل دراسته المختلفة ، مهيئة له الاجواء المناسبة لابراز مواهبه وكفاءاته ، وتوجيهها توجيها اجتماعيا صالحا ، مع مراعاة المستوى الثقافي والحضارى الذى يطلبه المجتمع الذى يعيش فيه هذا الطفل [3] وهذا هو الاطار النموذجي للمادة التربوية المفروض تقديمها للتلميذ ، لكن محتوى المادة التعليمية في التعليم الاستعمارى خالفت كليا هذه القاعدة ، وبدل أن تجعل الطفل غايتها وهدفها الأسمى جعلته فريسة لمطامع الاستعمار واغراضه الخبيثة ، وفيمايلي ،

---

(1) كامل لسليمان ، وعلي عبد الله ـ التربية ـ أصولها ، طرقها ... ص85

(2) رابح تركي ـ عبد الحميد بن باديس ... ص : 145

(3) كامل سليمان وعلي عبد الله ـ التربية ... ص : 86

نورد دليلا علميا تاريخيا لهذا التحليل ، يتمثل في قائمة المحتوى التربوى للمدارس " الفرنسية الاسلامية " وهي مدارس التعليم الرسمي الخاص بالجزائريين التي باشرت عملها سنة 1901 ، بثلاث مراكز أقيمت في الجزائر وقسنطينة ، وتلمسان . وهذا المحتوى مقتبس عن دراسة لرابح تركي ، نعرضه دون التعليق عليه ، نظرا لوضوحه ، وهو كالتالي : (1)

أ — مواد المرحلة الابتدائية :

1 — اللغة الفرنسية وأدبها

2 — الجغرافية والتاريخ (باللغة الفرنسية)

3 — القوانين والأنظمة الادارية (باللغة الفرنسية)

4 — الحساب ومبادئ الهندسة (باللغة الفرنسية)

5 — العلوم الطبية ومبادئ الصحة العامة (باللغة الفرنسية)

6 — اللغة العربية وأدبها .

7 — التوحيد والفقه الاسلامي

— بعد أن يتم الطالب برنامج المرحلة الابتدائية ويلتحق بالقسمين العاليين اللذين يوجدان فقط في المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة ، حيث يتلقى في دراساته المواد التالية :

1 — الفقه

2 — التفسير

3 — الأدب العربي

4 — تاريخ الحضارة الفرنسية

5 — مبادئ القانون الفرنسي

6 — النظام الادارى " الجزائرى "

— وتتكون مدة الدراسية في هذا القسم من سنتين ويضم فرعين للعلوم الشرعية ، والقانون المدني .

---

(1) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 147— 148

ب — التعليم التبشيري :

— يعتبر التعليم التبشيري النوع الثاني من التعليم الاستعماري ، وهو خاص ، تكفلت به جمعيات مسيحية ، وقد عمل هذا النوع من التعليم جنبا الى جنب مع التعليم الرسمي . ولو أن جهد التعليم التبشيري ونشاطه ، كان دائما في ظل نشاط التعليم الأول ، ويعود ذلك لعدة أسباب أدت الى انحصاره منها أن التعليم التبشيري بالديانه المسيحية ، وهذا العامل وحده كاف لبناء حاجز نفسي بينه وبين الشعب الجزائري ، الى جانب عدم تمكنه من الانتشار ، في كامل تراب الوطن ، وانحصاره في مناطق معينة ...

— أما عن طبيعة هذا النوع من التعليم ، فيقودنا الى طرح نقطة مبدئية في الموضوع ، تكمن في حقيقة المسيحية ذاتها ، وفي هذا نورد ماقاله "بول فاليري — paul Valléry" من أن " المسيحية التي انتشرت في أوروبا هي مسيحية القديس " بولس " ، وقد جاءت المسيحية باخلاقية ذاتية ، وعملت على توحيد هذه الأخلاقية جنبا الى جنب مع الوحدة القانونية التي أنشأها القانون الروماني " (1) وهذا يدعم ماقاله " شارل جنيبر " من أن الغربيين لم يكونوا يوما مسيحيين (2) كما تريدهم رسالة عيسى المسيح عليه السلام ، وانما صنعوا دينهم بأيديهم وبنتوء بالتفاعل مع معطيات أخرى منها الديانة اليهودية ، والفلسفة اليونانية ، والقانون الروماني ، فأنتجت عياة دينية هي الكنيسة ، التي من بين اختراعاتها التبشير برسالة المسيح ، ولقد كان التعليم التبشيري أداة طيعة لنشر أفكار الكنيسة ، وتنفيذ رغباتها ، ولقد ذكرنا من قبل أن

---

(1) أنور الجندي — الاسلام والعالم المعاصر — 350
(2) أنظر — شارل جنيبر — المسيحية — نشأتها وتطورها — ص : 209

الكنيسة كانت احدى مؤسسات الغرب التي شاركت في المشروع الاستعماري الحديث، وأعطته الشرعية الدينية، ودعمت الحروب الصليبية، ومن ذلك فقد كانت طليعية في تنفيذ خطوات هذا المشروع فظهر مايسمى بالعمل التبشيري في المستعمرات، في أشكال متنوعة، منها المساعدات المادية، والبعثات الطبية، والتعليم، فكان العمل التبشيري جزءا من المشروع الاستعماري، وفي هذا يقول القس "صموئيل زويمر — S. Zwimer " في خطاب موجه الى المبشرين في مؤتمر القدس الشهير أن المبشرين قد سيطروا في الثلث الأخير، من القرن التاسع عشر (19) على " جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية، ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس والجمعيات، والمدارس المسيحية... وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار، لايهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل. "[1] وهذا نص يغني عن أي شرح أو تحليل يعكس ويوضح حقيقة التعليم التبشيري، وأهدافه التي كان يسعى اليها، خاصة في العالم الاسلامي.

— وفي الجزائر كان التعليم التبشيري مخلصا للمهمة التي أوكلها له رجال الكنيسة الغربية، وأساطين سياسة الاستعمار وكان ذلك مجرد أداة طيعة في يد النموذج الغربي، الذي استخدمها في خوض صراعه الحضاري من أجل البقاء، والتمكن، ضد النموذج الاسلامي وكان هذا الصراع بعيدا كل البعد عن المعايير التربوية العلمية، التي تكون فيها غاية التعليم ايصال المربي الى الكمال الذي هيء له[2]، بغاية دفعه الى النهوض بدوره الاجتماعي نحو حضارة أمته.

---

(1) عماد شرف — حقائق عن التبشير — ص: 33

(2) محمد متولي الشعراوي — منهج التربية في الاسلام — ص: 8

— ولقد وقف الاسلام في وجه التبشير اثناء الاستعمار ، وقبله ، لهذا أدرك المبشرون أن تمسك الناس بالاسلام هو حجر الزاوية التي ان تم اقتلاعها سهل اسقاط البناء كله . وكانت بداية عملهم التدميري مع احتفالهم يوم (11 جويلية 1830)، بتحويل المعلم الحضاري الاسلامي (جامع كيشاوة) الى كنيسة مسيحية [1] ، ورغم التصادم الذي حدث بين الكنيسة والسلطة الرسمية للاحتلال ، خاصة بين الكاردينال " لا فيجري Lavigerie " ، والحاكم العام " ماك ماهون — Mac - Mahone "[2] الا أن هذا الخلاف كان حول الأدوات والسبل الاستعمارية وليس حول الأهداف التي كانت واحدة بالنسبة لهما .

— أما عن امكانيات وسائل التعليم التبشيري بالجزائر، فبالرغم من كونه تعليم خاص، الا أن الامكانيات التي كانت لديه تفوق التي كانت لدى التعليم الرسمي ، وذلك يعود لأسباب عديده ، منها أن التعليم التبشيري ليس فرنسيا فقط ، بل أوروبيا اشتركت فيه مجموع الدول الغربية ، سواء بالمساهمة المباشرة ، أو بالمساعدات المادية ، ولقد حدد الاستعمار أهداف هذا التعليم وعلاقتها بالمشروع الاستعماري ، واذا كان قد قلل من امكانات التعليم الرسمي ، لانه يوجد في مهمته شيء من الوظيفة الايجابية المتمثلة في معرفة الجزائريين ، للغة الاستعمارية وثقافته ؛ أما في التعليم التبشيري ، فكان الوضع معكوسا ؛ اذ دعمت امكاناته الى مستوى كبير ، لتاكده أن غاياته التهديمية ، لاتترك لبذرة البناء والخير امكانية الظهور ورغم معارضة هذه المساعي مبدئيا لكل القواعد التربوية العلمية ، الا آن المبشرين ومن ورائهم الاستعمار قد

---

(1) أنظر Saddia et Lakhdar - l'alienation colonialiste ... p32 -

(2) أنظر — وعلي محمد الطاهر — التعليم التبشيري . . . ص : 30 — 32

" ضربوا بهذا كله عرض الحائط ، واستخدموا العلم والتعليم في سبيل غايات صغيرة ، وشغلوا أنفسهم بتبديل عقائد الافراد الدينية ، باذلين جهودا كبيرة في سبيل منافسة غير نبيلة ." (1)

ويمكن أن نلخص الامكانات المسخرة في النقاط التالية : وهي امتلاك الوسائل النفسية والمعنوية العلمية ، وامتلاك الأموال اللازمة للتعليم و" الأعمال الخيرية " الملحقة به ، وكذلك معرفة المجتمع الجزائري من الداخل ومعرفة لغته ولهجاته ... (2)

وهذه الأمور ساعدت التعليم التبشيري في عمله ، رغم ضحالة النتائج التي توصل اليها .

ـ الهيكل التربوي للتعليم التبشيري :

ـ أولى هذه الهياكل هي المدرسة ، التي كانت في تصور المبشرين كما صورها " اليسوعيون " في كتاباتهم بقولهم " أن المبشر الاول هي المدرسة " (3) ، لذا تميزت المدرسة التبشيرية بالجودة والاتقان والتجهيز ، بغرض جذب التلاميذ اليها لحقنهم بسمومها حتى تتمكن من زعزعة عقيدتهم وضرب المعالم الأساسية لهويتهم الحضارية ، ليصبح الجزائري مسخا ، ليس بارادته فعل شيء ، وان تحلق الأمر برد فعل فطري وهذا الأمر يكون محققا بفعاليته لانه يستهدف عمق الانسان وذاته ويحاول كسر الانسان من الداخل ، وبالتالي فهذا العمل لا يتعرض لمقاومة لأنه غير مرئي .

أما ثاني هذه الهياكل فهو المعلم ، والمبشر لا يمكن أن يكون معلما موضوعيا نزيها مع تلاميذه ، الذين يخالفوه الاعتقاد والمذهب واللغة ... ولا يمكن أن يكون مربيا نموذجيا

---

(1) مصطفى خالد وعمر فروخ ـ التبشير الاستعماري في البلاد العربية . ص: 65 . 66

(2) أنظر ـ وعلي محمد الطاهر ـ التعليم التبشيري في الجزائر ـ ص : 94

(3) مصطفى خالد وعمر فاروخ ـ التبشير والاستعمار ... ص : 71

" الذى يعتبر حياته ملكا لتلاميذه ، أبناء وطنه ، وفلذات أكباد مواطنيه ، وخير المجتمع واسعاده . " (1) لا يمكنه هذا ، لأنه مخلص لدوره التبشيري الاستعماري ، قبل الدور التربوي العلمي ، واخلاصه لوطنه الأصلي قبل الاخلاص لوطن الأهليين ، الذى لا يربطه به ، سوى الأهداف الاستعمارية للتعليم التبشيري . (2)

ـ أما فيما يخص المنهج التربوي ، فقد استخدمه التعليم التبشيري بطريقة لا تتجاوز صلاحيته التربوية حدود تحقيق الأهداف الاستعمارية ، بالرغم من أن المنهج ضروري لتوصيل أي معلومة مهما كان محتواها ، وبالرغم من أن القاعدة التربوية تقول : " أن المنهج هو الذى يوضع للطفل وليس الطفل هو الذى يوضع للمنهج . " (3) لكن التعليم التبشيري عكس القاعدة من أجل غايته الأساسية الكامنة في الوصول الى تنصير التلاميذ ، ومن ثم تمسيحهم ، وتفسيخهم وفصلهم عن أصول حضارتهم الاسلامية . وكان المحتوى الذى تضمنه هذا المنهج ، هو المادة "العلمية " التي كان يتلقاها التلميذ في مدارس المبشرين ، والتي لم تكن أحسن حالا من نظيرتها في المدارس العامة ، ويكفي أن نورد مقتطفا من كتاب تاريخي للتعليم التبشيري ، كان معمما في العالم الاسلامي في مدارس المبشرين ، وهو كتاب " البحث عن الدين الحقيقي " لصاحبه " كولي Kolley " حيث ورد في الصفحة (220) منه مايلي : "برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الاسلام الذى أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدى الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الاخلاق ثم سمح لاتباعه بالفجور

---

(1) كامل سليمان وعلي عبد الله ـ التربية ـ أصولها . . . ص : 78

(2) أنظر ـ عماد شرف حقائق التبشير ـ ص : 57

(3) كامل سليمان وعلي عبد الله ـ التربية ـ أصولها . . . ص : 85

والسلب ..." [1]. ان مثل هذا المحتوى المسموم الذى يسمى " علما " لايمكن الا أن يصيب دارسه بنوع من الاختلال والاضطراب والفوضى على المستوى الشخصي ، ويضعه في تناقض واضح مع معتقده ومجتمعه ، فيعيش بذلك مواقف صعبة ، فلا هو بالغربي النصراني ، ولا هو بالجزائرى المسلم ، وأحسن مثال على هذه الفوضى ، حالة الذين تنصروا .

— والنقطة الثانية التي ركز عليها محتوى التعليم التبشيرى هي تقسيم الشعب الجزائرى ، الى عرب وبربر ، من خلال ادعاءاته الباطلة ، أن البربر من أصل غربي ، والعرب غزاة لأرض الجزائر ، وقد تم التركيز على هذه الفكرة في المناطق البربرية خاصة في منطقة القبائل ، لكن تفطن الجزائريين لهذه المكيدة حصر آثارها بين عدد قليل من العناصر بالاضافة لوجود درع الاسلام [2] الذى حمى الناس من التمصير التفسيخي التدميرى لذواتهم الاسلامية .

---

(1) مصطفى خالد وعمر فاروخ — التبشير والاستعمار في العالم الغربي . ص: 72 — 73

(2) أنظر — وعلي محمد الطاهر — التعليم التبشيرى في الجزائر ص : 59 — 60

2 ـ 4 : آثار التربية الاستعمارية في الجزائر .

ـ نحاول فيمايلي التطرق الى بعض آثار التربية الاستعمارية الفرنسية في الواقع الجزائرى خاصة في مجال التربية وتتمثل هذه الآثار في :

زعزعة شبكة العلاقات الاجتماعية ، وشل حركة المجتمع وتعطيل دورته الحضارية الى حدما ، لأنه يحدث أن تنتقل هذه الحركة من مرئية الى داخلية سرية ولاسباب مختلفة . وتمكنت التربية الاستعمارية من تعطيل المنظومة التربوية الأصلية ، وابعادها عن مجال الحياة ، ومحاصرتها ماديا في الجبال والثغور ، ومعنويا باغراق مؤسساتها (الزوايا والمساجد) في الخرافات والترهات ، ونجح الاستعمار في بناء منظومة تربوية فرنسية ، كان من نتائجها فرنسة جزء من الشعب الجزائرى وابعاد الباقي عن ثقافته الا القليل ، وكون فئة من الجزائريين تنادى بالادماج والتجنس وتشكل بذلك ما يسمى بالتيار "الفركوفيلي" ذى الثقافة الفرنسية والميول الغربية التي ما يزال المجتمع الجزائرى الى اليوم يعاني منه ـ التيار ـ ومن ازدواجية ثقافية للمثقفين الجزائريين كما توصلت التربية الاستعمارية الى طرح مشكل القومية ، الذى تكفل الاسلام بحله ، منذ ثلاثة عشر (13) قرنا واستطاعت التربية الاستعمارية من تجميد نشاط المفاهيم الاسلامية في عقل الانسان الجزائرى ، فأصبح انسانا منطويا فاقدا للثقة بنفسه ، تابعا لغيره .

ـ وكان المشروع الاستعمارى ، وخاصة جانبه التربوى عبارة عن تحد تاريخي للمجتمع الجزائرى ويعتبر هذا أهم حدث في التاريخ الاستعمارى للجزائر ، وعنصرا هاما فيما تطرقنا اليه سابقا ، هذا المجتمع الذى أصيب بالصدمة التي جعلته يطرح الاشكال على نفسه عندما أجبر على الاختيار بين

الهامشية، أو مواجهة التحدي بإرادة حضارية صلبة، وهنا المنفذ الاساسية في الموضوع، حيث جاء الرد التاريخي مع مطلع القرن العشرين، متمثلا في محاولات الاصلاح الاولى التي تبلورت بعد ذلك في الجانب التربوي، في شكل مشروع تربوي حضاري، استهدف مواجهة التحدي المطروح، باستنهاض الامة من أجل العودة الى محور التاريخ، وكان ذلك فعلا ما حدث على مستوى التربية، لأنها الأداة الاساسية في بناء المجتمع وحضارته، وقد تمثل ذلك الرد في المشروع التربوي الاصلاحي لعبد الحميد بن باديس، كرد على تحدي المشروع الاستعماري الفرنسي، ونموذجه التربوي، للمجتمع الجزائري كمجتمع تاريخي.

الباب الثاني

المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس

— المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس

— مقدمة :

— تعرضنا في الباب الاول من هذا البحث الى تفصيل المشروع الاستعمارى ، وجانبه التربوى هذا المشروع الذى عرفنا أنه كان تحديا للمجتمع الجزائرى ، حيث استهدف ضرب بناه الأساسية كي يسهل تفكيكه ، وتحويله من مجتمع الى جموع بشرية ، خاضعة لارباط بين أفرادها ، ولا هدف يحفزها في مسيرتها ولا صلة لها بحضارتها . وبذلك يسهل استغلالها وتطويعها ، لخدمة مصالح الاستعمار . لكن رغم بشاعة المشروع الذى خلف آثارا سلبية في واقع المجتمع الجزائرى ،الا أن الجزائريين لم يقفوا مكتوفي الايدي ، بل حاولوا الرد عليه ، بأشكال مختلفة منها العسكرية ، ومنها السياسية ... بغض النظر عن فعالية ونتائج هذه الردود

— وكان ابن باديس من الذين قاموا بمهمة الرد على المشروع الاستعمارى ، مستخدما التربية كأداة اصلاحية محصنة المجتمع من الذوبان ، في الثقافة المفروضة عليه ، ومثلما حاولنا فيما سبق من البحث تحديد نقاط التحدى التاريخي في المشروع الاستعمارى ، سنحاول ، في هذا الباب تحديد نقاط الردالتاريخي في المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس على تحدى المشروع الاستعمارى ، ولبلوغ هذا الهدف ، سنتعرض للفصول التالية :

— أولا : الملامح الأساسية لشخصية عبد الحميد بن باديس للكشف عن الأساس المميز للمشروع التربوى الباديسي ، وعلاقة هذا الأساس بالمشروع الاستعمارى .

- ثانيا : المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس من حيث الجذور والاسس وفيه نبحث عن تاريخ المشروع الباديسي ، ونحدد الأسس التي بني عليها وهذا لتوضح المفارقة بين المشروعين على مستوى الأصول والاسس.

- ثالثا : وسائل وأبعاد المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس، وفيها نقوم بتوضيح النقاط الحساسة في الرد المتمثلة في المواجهة والصراع بين المشروعين (الاستعماري والباديسي).

— الفصـــــل الأول —

— مـــلامــح شخصيـــة ابـن باديـــس

1 — 1 : مقـــدمـة

1 — 2 : ابـن بـــاديـس ، لمحـة تاريخية عن ميــلاده ، نشأتـه ورحلاتـه

1 — 3 : جـوانب شخصيتـــه

1 — 4 : خـــاتمـة

- ملامح شخصية ابن باديس

1 - 1 - مقدمه :

- مادام موضوع بحثنا المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس، تجلى لنا أنه من الضرورى التعرض بالمناقشة والتحليل ، لشخصيه هذا الرجل لاننا نعتقد أن أى عمل فكرى أو سلوكي ، انما هو انعكاس صادق لفكر صاحبه ، وبالمقابل رأينا ،أن مكونات شخصيه ما ، تتأثر الى حد بعيد بالظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بها ، لذلك بدا لنا أنه من الأجدى دراسة الملامح الأساسية لشخصية صاحب المشروع في بحثنا هذا . وعلى هذا الأساس نتطرق للنقاط التالية : مولده ، أسرته ، انتماؤه الاجتماعي ، تعليمه ، ورحلاته . لنبين من خلال ذلك تأثير كل عنصر منها ، على شخصية ابن باديس وعلى عمله الاصلاحي ، ثم في الجزء الثاني من الفصل نعمد الى ذكر جوانب شخصيته المختلفة التي ستوضح لنا الكثير من المواقف والأعمال التي قامت بها هذه الشخصية الجزائرية

1 — 2 : ابن باديس — لمحة تاريخية عن، ميلاده، نشأته ورحلاته

— ولد ابن باديس ليلة الجمعة 4 من شهر ديسمبر سنة (1889م)، في مدينة قسنطينة[1]، وقد كانت حالة الجزائر في تلك الفترة تسير من سيء الى أسوأ، خاصة بعد مجاعة (1870) التي ذهب ضحيتها الآف الجزائريين، بالاضافة الى توطيد أركان الاستعمار، بعد قمعه للثورات الشعبية العديدة، الأمر الذى جعل الوضع السياسي يتسم بصفة السكون التي سادت الساحة الوطنية، في غياب الأحزاب السياسية المعارضة. أما في الجانب الثقافي، فقد كانت هناك بعض المحاولات الفردية لاستنهاض الوضع الجامد المتمثل في جانبه الاجتماعي، بالبؤس الذى خيم على غالبية الشعب الجزائري، ويمكن أن نلخص الوضع آنذاك في كلمة التأزم الحاد والعام[2]

— أما ما تعلق بابن باديس، فانه انحدر من أسرة تنتمي الى احدى العائلات العريقة بقسنطينة، وذات الشهرة، بالمغرب العربي كله، لمشاركتها في صنع أحداثه، حيث يعود أصلها، الى "بلكين بن زيرى بن مناد والمعز لدين الله بن باديس" هذا الأخير الذى قام بفصل دول المغرب عن دولة الخلافة الفاطمية في المشرق[3]، ونسجل بهذا الصدد أن كل الذين كتبوا عن ابن باديس أكدوا هذا النسب له ولأسرته دون خلاف. لكن ما يهمنا نحن في البحث، هو تأثير الانتماء في شخصية ابن باديس، اذ أن احساس الانسان بالانتماء التاريخي لواقع ما، ومجتمع معين، يؤثر عليه من حيث اهتماماته الاجتماعية، وهذا ما تأكد لدى ابن باديس

---

(1) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 157
(2) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد المجيد بن باديس مفسرا، ص 13، 19
(3) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 158

الذى ضحى بنفسه في سبيل اصلاح مجتمعه. وذلك لايعني أن كل انسان ينتمي لعائلة عريقة يولد باستعدادات فطرية، تدفعه الى الاهتمام بسواقع مجتمعه .

— وفيما يخص والده " السيد مصطفى بن مكي بن باديس" كان من أعيان قسنطينة ووجهائها ، وعضو بالمجلس الجزائرى الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة [1] وقد أثرت شخصية الوالد ومواقفه ،في شخصية ابنه ، تأثيرا كبيرا، من حيث توفير شروط التربية الصالحة ، المتكاملة ، التي أفادت عبد الحميد كثيرا ، وبرز ذلك واضحا في قول هذا الاخير، يوم احتفاله بختم تفسير القرآن . حينما قال له والده ذات يوم :" يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا ... فاكفيني أمر الآخرة ،كن الولد الصالح الذى ألقي به وجه الله ." [2] فكان عبد الحميد ذلك الولد الصالح ، صلاح الدنيا والآخرة، الذى استفاد كثيرا من سلطة والده ومكانته الادارية داخل السلطة الاستعمارية ،في مواجهة الاستعمار أثناء بناء مشروعه التربوى الاصلاحي ، اذ أن فرنسا ماكانت تظن في أول الامر أن ابن احد موظفيها ،الأوفياء يحمل عملا يناقض مصلحتها ويهدد كيان مشروعها ، بواسطة اعادة بعث المجتمع الجزائرى من غفلته ونومه ، الذى كان الاستعمار دائما يباركه ويغذيه .

— كما كانت أمه عاملا مؤثرا في شخصيته لانتمائها الى احدى أكبر العائلات في قسنطينة وهي عائلة " علي بن جلول " [3] ،ونحن نعلم أن للأم دورا كبيرا في توجيه طفلها وتكوين شخصيته ،بفضل انعكاس خصائص شخصيتها على تربيته ،

---

(1) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس ... ص: 39
(2) توفيق المدني — حياة كفاح — الجزء الثاني — ص : 77
(3) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس ... ص : 137

فيأخذ منها الخلق الكريم والاستقامة ، والصدق ...، وكان هذا شأن ابن باديس الذى تميز بالخلق الكريم والاستقامة والسلوك القويم والكلم الطيب وقد ساعده على ذلك تربيته الاسلامية، عكس أترابه أبناء الوجهاء الاداريين المتعاملين مع الاستعمار الذين كانوا آنذاك يعلمون أبناءهم في المدارس الفرنسية، لكن والد ابن باديس ومن ورائه أسرته وضعوه في احضان التعليم الأصلي رغم تقليديته في ذلك العهد.[1] وهذا التوجيه ساعده على أن يكون مربيا مصلحا اسلاميا ، كما توضح ذلك ، ملامح مشروعه التربوى الاصلاحي .

— تلقى ابن باديس دروسه الأولى على يد الشيخ محمد المداسي في حفظ القرآن الذى أتم حفظه ، وعمره (13) سنة[2]، فكان لهذا الواقع الديني أثر كبير على بنيته النفسية والفكرية بفضل انعكاس ذلك في مواقفه الجادة الصافية، وفي أفكاره النيرة ، نور الحق ويتجلى لنا ماسبق في حادثة تقديمه لامامة صلاة التراويح من طرف مؤدبه القرآني ، فكان لهذه الحادثة أن عمقت ثقة ابن باديس بنفسه ، وفتحت له آفاقا رحبة، في عالم العلم والعمل [3] ، وفي عام 1903، بعدما أتم حفظ القرآن اختار له والده مدرسا من شيوخ قسنطينة ، عرف بالعلم والتقوى والصلاح ، وهو الشيخ " حمدان لونيسي "، الذى قام بتلقينه العلوم العربية ، والاسلامية ، في مسجد " سيدى محمد النجار"[4]، ومن آثار هذه المرحلة في شخصية ابن باديس احتكاكه المباشر بمدرسه الذى أكسبته كثيرا من القيم الروحية ، كالزهد ، والصبر والتقوى والاحتساب لله .

---

(1) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس مفسرا — ص : 40
(2) أنظر — رابح تركي عبد الحميد بن باديس ... ص : 157
(3) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس ... ص : 40
(4) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس ... ص : 157

وساعده على تحصيل علم أصيل ، ذي أساس متين ، كما شجعه على الابتعاد عن الوظيف الحكومي[1] عملا بنصيحة شيخه ، وهو ما كان بمثابة الدرع الواقي لشخصه . كل هذه الأمور، أفادته فيما بعد ، عندما دخل معترك الاصلاح .

— سافر ابن باديس عام (1908) الى " جامع الزيتونة" ليستكمل دراساته الثانوية ، والعليا . وتم له ذلك ، في سنة (1912) ثم امضى بعدها سنة من التدريس هناك ، حيث أفادته هذه الرحلة كثيرا في اتساع آفاق تفكيره، وعلمه واثراء تجاربه ، خاصة بتلك الدروس التي تلقاها من أساتذته الزيتونيين مثل " الشيخ الطاهر بن عاشور "و" الشيخ البشير صفر " و " والأستاذ محمد النخلي "، هذا الأخير الذي نصحه بنصيحة فتحت آفاق عقله[2]، وصححت تعامله مع تفاسير القرآن ،بفضل توجيهه الى استخدام عقله كمصفاة في قراءته لها ، ليزيل عن نفسه الحيرة . ويمكن أن نلخص أهم أثر تركته هذه الرحلة في شخصية ابن باديس في رفع مستوى احساسه الرسالي من "المستوى الوطني الى مستوى الانتماء الحضاري .

— حاول ابن باديس بعد عودته من تونس سنة(1913) التدريس في مساجد قسنطينة ، لكنه اصطدم من جهة بالتخلف والجمود اللذين كانا يسيطران على الواقع الجزائري آنذاك ، ومن جهة ثانية ، بالاستعمار . لذا قام برحلة نحو بيت الله الحرام استغرقت ثلاثة أشهر ، زار فيها بعض الاقطار العربية ، منها سورية ، ولبنان ، والحجاز ، ومصر . والتقى

---

(1) أنظر : حسن عبد الرحمن سلوادي — عبد الحميد بن باديس . . ص: 45 .
(2) أنظر : رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص: 168 .

فيها مع شيخه " حمدان لونيسي "، و" بالسيد أحمد الهندي " هذا الأخير الذي نصحه بالعودة الى الجزائر ، ومباشرة الاصلاح . كما تعرف هناك ، على رفيق دربه " الشيخ البشير الابراهيمي " ولقائه " بالشيخ محمد بخيت" الذي كان من رجال الاصلاح في مصر .[1] وكان لهذه اللقاءات أثر بالغ في نفسية ابن باديس حيث جذرت فيه ، انتماءه للاسلام ،ودفعته بقوة الى رفع راية الاصلاح [2] ، ومواجهة الواقع الاستعماري في "الجزائر ،وكان ذلك ما حدث ، سنة (1913) ،بعد عودته مباشرة .

— أمضى ابن باديس بذلك حياة جهاد لا راحة فيها منذ (1913) تاريخ غرس بذرة المشروع التربوي الاصلاحي حتى وفاته سنة (1940) ،حيث كان يبدأ عمله " بعد صلاة الفجر ،ويتواصل الى قرابة منتصف الليل ،أي بمعدل يتراوح بين التسعة والاثني عشر درسا ،في اليوم ..."[3]، يعلم فيها الصغار نهارا والكبار ليلا ،ويتطرق فيها الى علوم شتى ،محورها تفسير القرآن الكريم وتدريس كتاب " الشفاء للقاضي عياض"، ويتفرغ في الليل للعمل الصحفي ،ولقد قضى حياته كلها على هذا النسق ،تفانيا في خدمة رسالته وحضارته ،وقدم عمره ثمنا لإصلاح وضع أمته حتى وافاه الاجل مساء الثلاثاء 16 أفريل 1940[4].

---

(1) أنظر : رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 168 — 169 .
(2) أنظر : Ali merad - I Bn Badis - commentateur du coran- p28
(3) صلاح الدين الجورشي — تجربة في الاصلاح . . .ص: 34 .
(4) أنظر : حسن عبد الرحمن سلوادي — عبد الحميد بن باديس. .ص: 56 .

1 ــ 3 : جوانب شخصيته .

ــ تعتبر شخصية الانسان مجالا خصبا للتفاعل بين جانبين متكاملين : الجانب الوراثي بمكوناته والجانب الاجتماعي بمعطياته المتعددة ، ويتجلى التعبير عن هذا التفاعل في شكل " نظام متكامل من الصفات يميز الفرد عن غيره " (1) ، ومن أجل تسهيل دراسة هذا النظام في شخصية ابن باديس نعمد الى تقسيمها الى جوانب عديدة ، حسب مجالات نشاط شخصية الانسان نفسها . وتجمع شخصية ابن باديس في طياتها جوانب ، بلغت من التنوع والغنى مبلغا يجعل بوسع الباحث دوما ، أن يتطرق الى دراستها من زاوية ، تحرر الفكر من الظروف العرضية النسبية (2) ولذا سنعمل فيما يلي على تقسيم شخصية ابن باديس الى جوانب متعددة ، بغرض التعرف على حقيقتها .

أ ــ الجانب الروحي :

ــ كانت الظروف التي عاشها ابن باديس ، خاصة في الفترة الممتدة بين سنتي (1913 ــ 1940) ، في مستوى لا يحتمل من القساوة لكنه كان يواجهها بكل قوة وتعقل ، وهذا يعود بالدرجة الأولى الى ايمانه الراسخ " بالله عزوجل " وثقته فيه ، فهو يعتقد أن " التفاؤل لا يثمر الا اذا كان يرتكز على دعامة دينية ، هي الاعتماد على الله ، لا على المخلوق" (3) لذا فمنبع ارادته لانهائي ، ونشاطه غير محدود لأن مصدرهما مطلق ، وهذا هو سر قوة ابن باديس في مواجهة التحديات

(1) محمد أحمد بيومي ــ المجتمع والثقافة والشخصية ــ ص : 141
(2) أنظر ــ مالك بن نبي : مقدمة لكتاب ــ ابن باديس حياته وآثاره ــ ج 1 ــ ص : 10
(3) محمود قاسم ــ عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي . . . ص : 37

الصعبة ، والنابحة من روحية " الصوفي الواله "[1] المتجذر في علاقته مع الله ، وانعكس ذلك على مسيرته التربوية الاصلاحية من حيث أن العلاقة مع الله في حياة الانسان المسلم كيفما كانت، فانها تنعكس على نشاطه وسلوكه وفكره، وهذا ماكان عليه فعلا ابن باديس، حيث كان دائم الثقة في الله ، هذه الثقة التي جعلته يتحدى أي طاغوت يعترض سبيله خاصة في مواجهته للاستعمار ،لانه أدرك " أن النجاح لن يكون الا في جانب هؤلاء الذين اتجهوا الى الله مخلصين له الدين ."[2] هذه الصفة جعلت نشاطه الاصلاحي عامة ،والتربوى خاصة، يتميز بالصلابة في الحق ،وعدم مماراة الباطل ،والابتعاد عن الزيغ والتميع ، بتمسكه بطريق الاستقامة ،فما استطاع الاستعمار أن يغريه رغم مساوماته العديدة له ، وما استطاعت بعض الفرق الضالة من الطرقية أن تحرف مساره ،وهذه النقطة ذاتها أكسبته احترام العامة من الشعب ، والخاصة من العلماء ، لما رأو فيه من غنى روحي وتعلق بالله عز وجل ، وبعد عن كل سلطان دنيوى كل هذه الخصال بوأته رئاسة اخوانه من علماء الجزائر، عندما طرحوا مشروعهم الاصلاحي الشامل ،الذى تجسد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،حين تم ذلك سنة (1931 م)

<u>ب ـ الجانب النفسي :</u>

ـ يؤثر الجانب النفسي في حياة الانسان وفي علاقاته الاجتماعية ، مع الاطراف الاخرى ، وفي مواقفه نحوهم[3]، حيث يتفاعل المجال النفسي عند الفرد ،مع أحداث حياته اليومية باستمرار ، ويمكن لابسط صفة نفسية لديه أن تسبب أعقد موقف في حياته ، أو تكون له اتجاها نحو أخطر قضية

---

(1) مالك بن نبي ـ مقدمة لكتاب . ابن باديس حياته وآثاره ـ ج 1 ـ ص : 10

(2) محمود قاسم ـ عبد الحميد بن باديس للزعيم الروحي . . . ص : 37

(3) انظر ـ عبد اللطيف شرارة ـ الموسوعة النفسية . . . ص : 125

يصادفها .

— والمجال النفسي في شخصية ابن باديس غني بالصفات التي لا يمكن التعرض لها جميعا ، لكن ما يلاحظ في هذه النقطه بالذات أن صفاته النفسية لم تكن متجزئة ، وانما كانت تشكل نظاما متناسقا ، متكاملا مع الأبعاد الاخرى من شخصية صاحبها ونذكر فيما يلي بعض الصفات النفسية الأساسية لشخصيته ، بالترتيب حسب الأهمية :

— أولا : الثقة بالنفس التي هي العمود الفقري لشخصية ابن باديس وأعماله ، حيث ماوقف موقفا الا وكانت الجدية هي اللون المتغلب عليه ، ولم يكن ليفعل ذلك الا لاحساسه بأنه على حق ، ولثقته الكبرى بنفسه ، هذه الثقة التي ساهم وسطه الاجتماعي في تنميتها لديه ، وهذه الأخيرة التي كانت دائما سنده في أعماله الاصلاحية ، خاصة في مواقفه الصدامية ، مع الاستعمار ، فذكر منها موقفه مع الوزير الفرنسي الذى جاء ليتقصى أخبار النزاع الذى حدث بين المسلمين واليهود سنة (1934) بمدينة قسنطينة ، والذى حاول فيه ارهاب الوفد الممثل للمسلمين ، فوقف له ابن باديس بالمرصاد .[1] ، وكذا موقفه حين كان عضوا في وفد المؤتمر الاسلامي ، مع وزير الدفاع الفرنسي " دلاديه daladier " الذى هدد الوفد بمدافع فرنسا ، فأجابه ابن باديس ، بأن مدافع الله أطول[2] .

— ثانيا : السمة الثانية من شخصية ابن باديس هي التواضع ، الذى ميزت حياته ، هذا التواضع الذى يرضاه الشرع ، والعقل وبفضله يرى الانسان منزلته بعين البصيرة ، في معاملته مع الناس[3] ، وقد أفادت هذه الميزة ابن باديس كثيرا حيث أزالت

(1) أنظر : علي المغربي — سر عظمة ابن باديس — مجلة الرسالة . . . ص : 38

(2) أنظر : حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد ابن باديس . . . ص : 54

(3) أنظر : علي بن حالة — مرآة الاخلاق — ص : 87 — 88

كل الحواجز الوهمية بينه وبين الشعب، فأدرك وضعه ادراكا حقيقيا، واقعيا، لامثاليا فكان يعالج الأمور المعقدة، دون أن ينسى البسيطة منها، ويفكر في حال الفقير قبل الغني، والدليل على ذلك، أن جل مشاريعه كانت موجهة للطرف المستضعف من الشعب، حبا له، لاطمعا فيه. ولاقى تعليم ابن باديس نجاحا كبيرا، نتيجة للتجاوب الذى حدث بين تواضع شخصيته وبين غالبية الشعب الجزائرى.

— ثالثا : القدرة على تحمل أعباء القيادة والمسؤولية، وتعود هذه الميزة لديه، "القوة شخصيته، وتأثير محيطة عليه، وكذا رعاية والدة الذى دفعته نحو الأعمال المشرفة، بعد أن وفر له العناية الكافية. كما كان لحادثة تقديمه من طرف مدرسه القرآني، لامامة الصلاة، وغيرهما من الأحداث، أثر جعل ابن باديس يمارس القيادة منذ صغره، ويحس بعظمة المسؤولية، لذلك حينما دخل معترك الصراع أصبحت عنده المسؤولية في حقيقتها كما ذكر " عمر بن قينة" " عملا يقدم عليه قبل أن يذكره للناس ... وتطبيقا سلوكيا وفعليا، تلاشت خلالها مصلحته الشخصية، وبرزت مصلحة الامة والوطن." [1] وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تم تعيينه من طرف زملائه غيابيا، رئيسا للجمعية. وهذا دليل على استحقاقه للقيادة دون رغبته فيها لذاتها... [2].

— ومن صفات ابن باديس أيضا حب الخير والاحسان والتسامح، وهي صفات متلازمة في وجودها، ومتكاملة في عملها. فلا يوجد متسامح الا اذا كان في نفسه قدرة على الاحسان الى غيره، ولا يمكن أن يوجد ذلك لدى الفرد، الا اذا كان محبا للخير، لان الاحسان من الامور الخيرة في الحياة، وابن باديس كان خيرا ومحبا للخير، عاملا له، ومحسنا، أينما

(1) عمر بن قينة — شخصيات جزائرية — ص 32
(2) أنظر — أبو القاسم سعد الله — الحركة الوطنية الجزائرية — (1900—1930) ص 413

تحرك تسرك آثار احسانه، حيث منح حياته في سبيل الله والشعب، ومضحيا بنفسه، وهي صفات بلغ بها أعلى درجات التسامح، خاصة عندما، عفا عن الرجل الذى حاول قتله [1]. دون ملاحقته قضائيا أو طلب التعويض منه. كما جعلت منه رجلا متحكما في الأحداث لايتعامل معها تعاملا جافا باستمرار، بل يلين حين تقسوا، ويجتهد حين تلين وهناك الكثير من الصفات التي لم نذكرها لتفرعها عن الصفات المذكورة، وما نستخلصه مما ذكرنا هو أن التفاعل بين البعد النفسي لشخصية ابن باديس، وواقع مجتمعه، من العوامل التي مكنته من العمل الاصلاحي التربوى، وأغنت مشروعه التربوى، وانعكس على الأبعاد الاخرى من شخصيته.

ج — الجانب الاجتماعي :

— تعد حاجة الانسان الى الجماعة، ضرورية لبقائه، بحيث أننا كأفراد اجتماعيين لانحتاج الى حب الآخرين فقط بل أيضا الى الشعور بانتمائنا الى الجماعة. [2] هذا الشعور الذى يعتبر سنة اجتماعية، تسهر عليها جميع المجتمعات ووظيفتها تقوية روابط التماسك بين أفراد المجتمع، بحيث يشعر الفرد دائما، برغبته في الانتماء لمجتمعه للدخول فيه، والتفاعل مع أفراده، وفيما يخص ابن باديس، فانه امتلك صفات نفسية ايجابية وفعالة، مكنته من التكيف السريع مع مجتمعه، خاصة وأن انتماءه الاسرى لعائلة معتبرة علميا واجتماعيا، ساعده على دخول المجتمع دون عائق، مما انعكس على شخصيته فاكتسب ثراءا اجتماعيا، يمكن أن نوضحه على مستويين :

---

(1) حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 55

(2) وليم منجر — كل شيء عن نفسك . . . ص : 53

— المستوى الاول ، يتمثل في ابن باديس الانسان الفرد المتميز بعلاقات سوية مع وسطه الاجتماعي ، المتمثل في والديه ، وأصدقائه ، وعامة المجتمع ، بما فيه الذين كانوا يختلفون معه فكريا ، وسياسيا[1].

— أما المستوى الثاني فيتمثل في ابن باديس الانسان المصلح المربي الذى كان تصوره للمجتمع تصورا اسلاميا مبنيا كما وصفه " الطيب بوغوش" على " العلم والايمان ، والقوة والرحمه والعدل والاحسان والتعاون والتآلف ... هذا التصور كان واضحا عنده ، اقتنع به ، ودعا اليه ، وعمل من أجله طوال حياته "[2].
بهذه العقلية الاجتماعيه كان ابن باديس يتعامل في عمله الاصلاحي مع المجتمع ككل ، ومع المجتمع كأفراد ، فقد أحس منذ صغره بأزمة المجتمع ، وعمل طوال حياته على تغييرها ، أو كما قال " مالك بن نبي" يجب علينا الا " ننسى بأن ابن باديس مثقف يعيش مأساة مجتمع وحضارته على طريقته الخاصة"[3]
هذا التجذر " لغريزة الاجتماع " في شخصية ابن باديس ، هو الذى أسقط لديه كل قيمة للحياة الشخصية ، وأعطى مشروعه التربوى الاصلاحي ، ملامح الفعالية ، والنجاعة في أوساط المجتمع كما سيتوضح ذلك في فصول البحث المتبقية .

د : الجانب السياسي :

— ان القصد من هذا العنوان ليس المعارك الانتخابية أو الانحيازات السياسية ... فتلك نقطة متروكة لما سيأتي من تحليل للجانب السياسي في المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس ، انما نقصد بهذا العنوان ، الشخصية السياسية لابن

(1) أنظر : أبو الصفصاف عبد الكريم — جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . ص: 98
(2) الطيب بغوش — تصور ابن باديس للمجتمع الاسلامي — الرساله (ع . 2 . 3)ص 21
(3) مالك بن نبي — مقدمة : ابن باديس حياته وآثاره — ج 1 — ص : 14

باديس ، وبالرغم من وجود بعض الآراء التي تنفي السياسة عنه لسطحيتها وشكليتها ..

— الا أن ابن باديس كان يتميز بذكاء سياسي فذ يدرك به الموقف ادراكا جيدا ، ويزن به الامور فيعرف ان كان لصالحه دخله ، وان كان عليه تجنبه [1] ، فمثلا عندما أراد أن يحطم طرق تجنيس الاستعمار للجزائريين ، قام باصدار فتوى شرعية [2] ظاهرها ديني فقهي بحت مدعمة بالأدلة الشرعية دون أن يتطرق بكلمة واحدة الى شتم الاستعمار أو حتى ذكر اسمه بسوء ، ووجه بذلك ضربة قاضية أصابت الاستعمار في الصميم ، وقضت على أحد مشاريعه التخريبية للمجتمع الجزائري ، وهذا دون أن يدع له أدنى فرصة لقمعه . [3] وطبق ابن باديس نفس الخطة عندما حاول مع زملائه العلماء ، تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، حيث وجه الدعوة في المؤتمر التأسيسي لكل العلماء الجزائريين ، بما فيهم المعارضين للخط الاصلاحي ، وفي نهاية الأمر تمكن مع العلماء الاصلاحيين من تأسيس الجمعية ، وابعاد الخط الرجعي العميل للاستعمار ، دون اثارة أى مشكلة ، ودون اتاحة فرصة للاستعمار لمنع ، أو تعطيل التأسيس. هذا هو الجانب السياسي لشخصية ابن باديس والذى كان نموذجيا ، ساعدت مجموعة كبيرة من العوامل على تكوينه ، منها موقع أسرته الممتاز ، والمحترم من طرف المجتمع الجزائرى ، والاستعمار ، وكذا مخالطتها للادارة الاستعمارية ، كل ذلك مكنته من معرفة القوانين الرسمية ، وتجنب كل مايعرض للعقاب .

---

(1) أنظر : عبد الرحمن بن ابراهيم العقون — الكفاح القومي والسياسي . . . ج1 ص 164
(2) أنظر : آثار الامام عبد الحميد بن باديس — ج 3 — ص 303 — 309
(3) أنظر : الجيلالي صارى ومحفوظ قداش — الجزائر في التاريخ . . . ص: 27

— وما يلاحظ على هذا الجانب السياسي من شخصية ابن باديس أنه لم يثبت على وتيرة واحدة طول حياته ، بل خضع لتطورات تدريجية بدت جليا في كتاباته السياسية الصحفية الاولى ، التي تميزت بالمرونة ، وفي كتاباته السياسية الاخيرة التي تميزت بدورها بالطابع الصدامي ، [1] وهذا لتوطيد مشروعه الاصلاحي في الواقع الجزائري ، في ظل اشتداد صراعه مع الاستعمار ، وبالرغم من غموض بعض مواقفه السياسية المرنة ، التي آخذه البعض عليها ، الا أن هذا الأسلوب ، في حقيقته أفاد المشروع الاصلاحي ، وساعده على الانتشار في الواقع .

هـ — الجانب الفكري :

— اذا انطلقنا من مفهوم التفكير كمعاناة ، واحساس صادق بمشكلة معينة ، وبذل كل جهد في تحليلها ، ومعالجتها مع التزام الشروط الأساسية للتفكير العلمي الموضوعي ، وبغض النظر عن الشكل الذى يتبلور فيه هذا التفكير ، سواء مقال أو كتاب ، وبغض النظر عن ميدان التفكير ، فاننا نجد أن ابن باديس شخصية مفكرة ، مستوفية لتلك الشروط ، فهو شخصية عانت مشكلة استعمار الوطن ، والتخلف في جميع المستويات وغياب شروط ، ووسائل الحركة التاريخية ، وحاولت ادراك هذه المشكلة في اطارها التاريخي والحضاري . وفي هذه النقطة يقول "مالك بن نبي " عن ابن باديس " عندما قام بطبع كتاب (العواصم من القواصم) أبي بكر بن عربي (468 — 543) على نفقته ، كانت هذه الطبعة — رغم ثغراتها تاكيدا لشخصية تعمل على الصعيد التاريخي لحضارة ما . "[2] ثم انشاؤه للمطبعة الاسلامية باعتبارها

---

(1) أنظر : محمد ناصر — ابن باديس أسلوبه الصحفي — مجلة الرسالة (العدد 2—3) ص : 57

(2) مالك بن نبي — مقدمة : ابن باديس حياته وأثاره ، ج 1 — ص : 14

شرط أساسي لازدهار الحركة الفكرية (1)

بعد وعي ابن باديس لمشكلة الجزائر ، عمل على تحليلها ، ومعالجتها ، وقد اختار لذلك طريقة المقالة الصحفية (2) ، فكان يطرح نقطة معينة ، ويعالجها معالجة دقيقة بأسلوب صحفي ، تميز بالهدوء ، والاعتدال (3) كان يستهدف من خلاله ، لتحقيق هدفين ، وأولهما توصيل الافكار والآراء الى الجماهير العريضة بمختلف مستوياتها ، وثانيهما اعادة الاعتبار للغة العربية ، سواء في الوسط الشعبي أو غيره (3) ، ولقد كتب بهذه الطريقة في مجالات شتى في العقيدة ، والتفسير ، والتربية والسيرة ، والفقه ، . . . وقد جمعت آثاره في أربع مجلدات من طرف " عمار طالبي " وما نلاحظه في هذا الجانب من شخصية ابن باديس أنه وظف شخصيته كمفكر من خلال كتاباته ، لخدمة مشروعه التربوى الاصلاحي ، تزامن انتاجه الفكرى مع مراحل تطور المشروع ، فكانت كل مرحلة تصحبها تغطية فكرية يمكن لنا أن نعتبرها تنظيرا وتوجيها لمشروعه ، وبذلك تطورت شخصيته الفكرية ، عبر هذا الجدل المتمثل في الفكرة التي ينتجها ، والواقع الذى تعالجه ، فيتطور الفكر في أساليب وتقنيات التحليل ، والمحتوى ، كما يساعد الواقع ، على ترك السلبيات والتعلق بما يدفعه قدما نحو الأفضل .

و — الجانب التربوى :

— يعتبر الجانب التربوى ، المحور الاساسي للباب الثاني ، كله ، لأن ابن باديس المربي اهتم بالتربية منذ صغره ، ثم اكتشف

---

(1) أنظر : محمد خير الدين — مذكراته — الجزء الثاني — ص: 115
(2) أنظر : حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس: 52
(3) أنظر : محمد ناصر — ابن باديس أسلوبه الصحفي — الرسالة . . . ص: 56 — 57
(4) صلاح الدين الجورشي — تجربة في الصلاح . . . ص: 30.

بعد ذلك أن التربية أساس المشاريع الاجتماعية التغييرية، والعنصر المؤثر على فكرة التغيير لمجتمع مستعمر، أو قابل للاستعمار نحو مجتمع متحضر، يسعى بكل جهده الى المحورية التاريخية . وأدرك ابن باديس ، بميله ، واتجاهه ، حق الادراك " أن قدرة التعليم ... تكمن في غرس القيم وقلب الأوضاع السلوكية على مستوى الفرد والمجتمع ... " (1) وكان من نتيجة ادراكه هذا أن رابط في المساجد والمدارس لمدة (27) سنة، حيث " وقف على التربية معظم نشاطاته ، وأنشأ بقسنطينة مدرسة التربية والتعليم ، التي كان يشرف عليها في نفس الوقت الذى كان يشرف فيه على دروس التعليم المسجدى بالجامع الأخضر"(2) وهذا النشاط هو موضوع تحليلنا فيما سيأتي من نقاط البحث وفصوله .

(1) محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر — ص : 129

(2) محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر — ص : 129

1 ـ 4 : الخـــــلاصـــة

ـ تطرقنا في هذا الفصل لنقاط مختلفة من شخصية ابن باديس ، فتناولنا فيها ميلاده ، في فترة زمنية استعمارية ، وما كان لها من تأثير على صياغة شخصيته ، كما تناولنا أسرته ، وما تميزت به من مميزات لعبت الدور البارز في تشكيل شخصية ابنها الى جانب تعليمه المتنوع على أيدى مدرسين، وشيوخ معروفين ، خاصة منه الذى تم أثناء رحلاته داخل البلاد العربية ، هذه الرحلات التي جذرت فيه الروح الاسلامية، وعمقتها في نفسه ، وسعت آفاقه ، وأنضجت تفكيره ، وقوت جهده ، ثم تطرقنا الى الأبعاد المختلفة لشخصية ابن باديس التي كانت بمثابة الأغصان المختلفة لشجرة واحدة. تمثلت لدينا كرؤية واضحة لشخصيته ، فأعطت صورة متكاملة وانعكست بشرائحها وتنوعها على مشروعه التربوى الاصلاحي وسطرت له توجها خاصا ، وموقفا محددا ، جعله يقصد المجتمع الجزائرى ، ليستنهضه ويرد من خلاله على التحدى الذى شكله المشروع الاستعمارى ردا حاسما ، ومناسبا ، ستكشفه لنا النقاط الآتية من البحث.

ـ الفصـــل الثـــاني ـ

ـ المشــروع التربــوى الاصــلاحــي لابن باديس (جـذوره وأسســه)

المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس (جذوره وأسسه)

2 ـ 1 : مقدمة :

ـ لا يعني التحدث عن الجذور التاريخية لأية ظاهرة اجتماعية أو تربوية ، بالضرورة البحث عن التفاصيل التاريخية لتلك الظاهرة وانما يمكن أن يكون محاولة لكشف أصول الفكرة الأساسية للظاهرة من ناحية ، وحركتها من ناحية ثانية ، ولا يستطيع الباحث فهم ظاهرة ما ، الا اذا كشف عن الاطوار التي مرت بها وفسرها . وعند ذلك يكون قد وضع الظاهرة في اطارها التاريخي الذى نشأت وتطورت فيه ، وهذا مايساعد الباحث على التعامل معها بوضوح .

ـ أما تحديد أسس هذه الظاهرة، فتنحصر من ناحية في تحديد الاطار الذى نشطت فيه ، ومن ناحية ثانية في تحديد النقاط التي بنيت عليها . وكل ذلك يساعد على ضبط خصائصها وأهدافها وهذا ماسنقوم به ، في هذا الفصل ، الذى سنحمل فيه أولا على توضيح الامتداد التاريخي لمفهوم الاصلاح التربوى عند ابن باديس ، من حيث الجوانب التي اشترك فيها مع غيره من المصلحين والجوانب التي تميز فيها عنهم وهذا للتمكن من تحديد علاقة الاصلاح عنده بالمشروع الاستعمارى ، ونستعرض ثانيا حركة الاصلاح في المجتمع الجزائرى منذ دخول الاستعمار الفرنسي حتى تجربة ابن باديس الاصلاحية ، وهذا دائما للتعرف على مواجهة المشروع الباديسي للمشروع الاستعمارى .

ـ أما الجزء الثاني من الفصل فسيخصص لاسس المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس المتمثلة في :

1 ـ التصور الاسلامي

2 ـ الانتماء العربي

3 ـ الوطن الجزائري

ـ حيث نتطرق اليها بغرض تحديد خصائص المشروع واهدافه ،لان هذه الاسس كمبادئ هي التي حددت مسار المشروع الباديسي ،وحددت علاقته بالمشروع الاستعماري .

2 ـ 2 : مفهوم الاصلاح التربوي عند ابن باديس :

ـ جاء في لسان العرب أن " الصلاح ضد الفساد . . .والاصلاح ضد الافساد . . . وأصلح الشيء بعد فساده ،اقامه ،وأصلح الدابة ،احسن اليها "[1] ، كما عرف الاصلاح في معجم اللغة الفرنسية بانه "فعل تغييري نحو او في اتجاه الاحسن "[2] كما ورد أيضا في معجم العلوم الاجتماعية أن الاصلاح هو " تغيير في نموذج من النماذج الاجتماعية أملا في الوصول الى تحسين ذلك النموذج "[3] وتجمع التعريفات السابقة على أن الاصلاح تغيير لوضع معين ، انطلاقا من حالة فساد ،والعمل للوصول الى حالة الأفضل أو حالة الصلاح .

ـ ولا يختلف هذا الفهم للاصلاح ، عما ورد في العديد من الايات القرآنية ،التي تدعوا الى اصلاح الفساد ،وتحديد الصلاح بالتزام تعاليم الله في القرآن والسنة ،والفساد ،هو الانحراف عنها لقوله "عز وجل " ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها " ويفسر " أبو بكر جابر الجزائري " هذه الآية بقوله " ان الفساد ضد الاصلاح ،ويكون في العقائد والعبادات والاحكام والاخلاق ،والآداب ،كما يكون في الانسان والحيوان والنبات

---

(1) ابن منظور ـ لسان العرب ـ الجزء الثالث ـ ص : 340 .
(2) - grand Larousse de la langue française - Tome (6) - p 4940
(3) معجم العلوم الاجتماعية . . . ص : 45 .

والمعادن "[1] ويرى علي علواش أن ابن باديس مصلح مسلم التزم المنهج السلفي [2] هذا المنهج السلفي الذي يعود حسب بعض التحليلات الى " ابن تيمية "[3] وتلميذه " ابن قيم الجوزية " والذي تبناه أئمة الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي في العصر الحديث، منهم " محمد بن عبد الوهاب" "وجمال الدين الافغاني " و " محمد عبده "، و" رشيد رضا ".

— وجوهر المنهج السلفي ، هو العمل على اصلاح الواقع الاسلامي عن طريق العودة " بالاسلام الى عهد الصحابة في عقائده واصوله وفروعه "[4]. وهذا معنى مشترك بين جميع المصلحين السلفيين ، ومنهم ابن باديس، الذي كان يرى أن " الاصلاح هو ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بازالة ما طرأ عليه من فساد ، لأن اصلاح البدن يتم بمعالجته بالحمية والدواء ، واصلاح النفوس يكون بمعالجتها بالتوبة الصادقة.."[5]. واصلاح الفساد الموجود في المجتمع يتحقق بالتزام (القرآن والسنة)، وتجربة السلف الصالح [6]. ولقد واجه ابن باديس في عمله الاصلاحي وضعا فاسدا مثل المصلحين الذين سبقوه " فابن تيمية " واجه اختلال عقيدة الناس، وتدهور العلاقات الاجتماعية ، وجمود وتخلف العلماء وتسلط الحكام وكذلك تلميذه ، " ابن قيم الجوزية "، " ومحمد بن عبد الوهاب" الذي واجه واقعا فاسدا ، عقائديا ، واخلاقيا ، وسياسيا [7] وايضا

---

(1) انظر : ابو بكر جابر الجزائري كمال الامة في صلاح عقيدتها ...ص: 5 .
(2) انظر : علي علواش — حركة ابن باديس التربوية ... ص: 73 .
" حمودة سعيدي ، مكانة الافكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي .ص 61 .
(3) " : مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص: 42 — 43 .
" : علي علواش . . . المقدمة (ص : ث) وتوفيق المدني — حيا كفاح .ص 174
(4) " : محمد ابوزهرة — ابن تيمية — ص: 32 .
(5) " : عمار طالبي ابن باديس حياته وآثاره . المجلد الاول . الجزء الاول — ص: 231 .
(6) " : - Ali merad - Ibn Badis commentateur du coran p112
(7) " : أحمد — زعماء الاصلاح في العصر الحديث . ص: 10 .

من تلامذتهم من المصلحين، أمثال " الأفغاني " و " محمد عبده "، و" رشيد رضا "، حيث اختلف هؤلاء المصلحين السلفيين في تقنيات الاصلاح والمعالجة لواقعهم الفاسد وهذا بالرغم من اشتراكهم في الوصول الى الغاية نفسها " فابن تيمية " مثلا، ركز على الاجتهاد العلمي، والدرس[1] وتبعه في ذلك " ابن القيم[2] أما "محمد بن عبدالوهاب" فركز على دعوة التوحيد وبناء الدولة الاسلامية[3] في حين ركز " الافغاني " على الثورة السياسية[4] عكس " محمد عبده " و " رشيد رضا "، الذين مالا الى العمل الاجتماعي التربوي[5] ومن هذا الاستخراج المركز، للمنهج السلفي، الاصلاحي، الذي اختاره ابن باديس كمنهج لاصلاح واقع المجتمع الجزائري لمواجهة المشروع الاستعماري يتبين لنا أن الاصلاح التربوي عند ابن باديس لا يختلف عن المصلحين السابقين من حيث الأصول، التي هي نفسها (القرآن والسنة وتجربة السلف الصالح) لكونه يقر أنه " لا تكون لنا نهضة دينية الا بالقرآن "[6] كما تبنى نظرية التغيير الاسلامي، التي " شعاره الآية الكريمة — ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[7] ويتضح كل ذلك في قول ابن باديس " ان الذى نوجه اليه الاهتمام في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا، هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر "[8] وأيضا في قوله " فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها الى اصلاح النفوس، اما

---

(1) أنظر — محمد أبو زهرة — ابن تيمية — ص : 21

(2) أنظر — عبد العظيم شرف الدين — ابن القيم الجوزية — ص : 64

(3) أنظر — مسلم محمود عبدالمحي الجهني — أثر حركة محمد بن عبد الوهاب في العالم الاسلامي — ص : 10

(4) أنظر — محمد أبوريبة — جمال الدين الأفغاني — ص : 52

(5) أنظر — احمد أمين — زعماء الاصلاح . . . ص : 331

(6) أنظر — آثار الامام عبد الحميد بن باديس . . . الجزء الرابع — ص : 47

(7) أنظر — صلاح الدين الجورشي — تجربة في الاصلاح — ص : 22

(8) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادى — ابن باديس مفسرا — ص : 158

مباشرة واما بواسطة" (1) وكل هذه الأقوال تفيد بأن ابن باديس اختار المجال التربوى مجالا للاصلاح على غرار بعض المصلحين السلفيين الذين سبقوه، مثل "ابن تيمية"، و "ابن قيم الجوزية" المدرسان، وكذا "محمد عبده" و "رشيد رضا" اللذان ركزا في عملهما على الجانب التربوى.

— لكن هذا التطابق والالتقاء بين ابن باديس وغيره من المصلحين السلفيين لايعني أن ابن باديس قد كرر تجربتهم الاصلاحية حرفيا بل قد تميز عمله الاصلاحي تميزا علميا بارزا، خاصة مراعاته لعاملي الزمن، والمكان، والواقع الخاص بالشعب الجزائرى، مع الاستعمار. لهذا عاش ابن باديس مشاكل عصره وعاناها معاناة — فكرية وحسية (2) كما كان تميز الاصلاح التربوى لدى هذه الشخصية الجزائرية بالشمولية، فهي لم تهتم بجانب دون آخر، بل رأت أن نهضة الشعب الجزائرى تكون اجتماعية وسياسية ودينية (3).

— نستنتج مما تقدم أن ابن باديس، انسان مسلم قدر انتماءه للاسلام حق قدره وفهم رسالته كمسلم، كما هضم واقعه، واحتك به، وأدرك حالة مجتمعه، فهو يقول: " مبدأنا الاصلاح الديني والدنيوى، انه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها " (4) وأدرك أن الاستعمار، بمشروعه يريد تدمير بنية المجتمع الجزائرى ليسهل له استغلال الجزائر، أرضا وشعبا، وانه لايمكن مواجهة هذا المشروع التدميرى، الا بمشروع مضاد يبني على أصول هذا المجتمع، وينطلق من ذاته، وقد اختار مجال التربية ادراكا منه، لوظيفتها التغييرية الشاملة.

---

(1) حسن عبد الرحمن سلوادى — ابن باديس مفسيرا — ص: 158

(2) محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر. ص: 45

(3) آثار الامام عبد الحميد بن باديس . . . الجزء الرابع — ص: 46

(4) صلاح الدين الجورشي — تجربة في اصلاح . . . ص: 23

لانه كان يعلم أن الصراع الدائر ، بين الاستعمار الفرنسي والمجتمع الجزائري ، هو صراع شامل ، بين حضارتين مختلفتين الحضارة الغربية ، والحضارة الاسلامية ، وبهذا فاختيار ابن باديس للمنهج الاصلاحي السلفي يعد ردا تاريخيا على المشروع الاستعماري .

2 ـ 3 : الاصلاح الباديسي والحركات الاصلاحية السابقة في الجزائر

ـ تخضع الحركة الاجتماعية في تكونها الى توفر شروط معينة، تدفع بها الى البروز للوجود. ولا يمكن في أي حال من الأحوال"، تصور حركة اجتماعية منبثقة من العدم. هذه الأخيرة التي لها امتدادات تاريخية تمثل بالدرجة الاولى الهدف الجوهري من وجودها.

ـ وطبقا لذلك فان الحركة الاصلاحية لابن باديس خضعت في تطورها لنفس الظروف، المذكورة، وبالتالي فهي لم تنشأ من العدم، بل كانت نتيجة لمجموعة من العوامل والظروف التي تفاعلت منذ دخول الاستعمار الفرنسي، من أجل صياغة موقف خاص بالمجتمع الجزائري، من المشروع الاستعماري. وقبل أن يتبلور الرد الباديسي، في شكل حركة اصلاحية، ذات مشروع، وجدت هناك أدوار ومحاولات عديدة عبر عنها "سيد قطب" في قوله : "ان في الوطن الاسلامي حيوية كامنة، لا يغلبها شيء... هذا هو الخاطر الذى يخالج نفسي" كلما نظرت في كفاح الجزائر، ونظرت في تاريخ الكفاح... ان هذا التاريخ سيكون له، وقع عظيم، لانه سيطلع اليائسين، والمترددين، والضعاف في العالم الاسلامي كله، على أن الحيوية الكامنة في جسم الوطن الاسلامي، لاغالب لها، وان هذا الجسم يحمل بذرة الحياة التي لاتموت."(1)

ـ وكان دخول الاستعمار الفرنسي الجزائر سنة (1830) بمثابة الصدمة " لمجتمع مابعد الموحدين " التي أيقظته من سباته. فكان "جهاد "الأمير عبد القادر" ضد الاستعمار بدعم من الـ

(1) محمد خير الدين ـ مذكرات... الجزء الثاني ص : 151 ـ 152

من الزاوية القادرية هذا الجهاد الذى لم يقتصر على العمل العسكرى، بل حاول أيضا اصلاح المجتمع الجزائرى، من خلال الاهتمام الكبير ببناء الدولة الجزائرية واقامة دعائمها [1] وكذا كفاح "أحمد باى" الذى تصدى للاستعمار في الشرق الجزائرى، ومحاولة اعادته لربط العلاقات مع الخلافة العثمانية، وبالرغم من أن هذه المحاولات الاصلاحية لم تنجح في صد الهجمة الاستعمارية، واعادة بناء المجتمع الجزائرى، الا أنها أرست القطيعة بين المجتمع الجزائرى، والاستعمار الفرنسي ومشروعه التدميرى، وقد أثر ذلك كثيرا، في المحاولات الاصلاحية التي جاءت بعد، بما فيها المحاولة الاصلاحية لابن باديس، الذى أبقى القطيعة مع المشروع الاستعمارى، وطروحاته وأسس مشروعه التربوي الاصلاحي على القيم الأصلية للمجتمع الجزائرى، المتمثلة في أصول الحضارة الاسلامية، التي ينتمي اليها هذا المجتمع.

— بعد اخماد ثورة "الأمير عبد القادر" و "أحمد باى" عمل الاستعمار على توطيد مشروعه من أجل "كسب عناصر المثقفين، وزعماء الطرق الدينية ... ورجال البيوتات الكبيرة." [2]، وهذا ليوقف مقاومة الجزائريين التي قادتها هذه الشرائح الاجتماعية مما جعل حركة الرد على مشروعه الاستعمارى تتباطأ وتتحول الى ثورات متقطعة باستثناء الثورة الشاملة سنة (1871) [3] لكن سرعان ما عادت حركة الاصلاح في المجتمع الجزائرى الى الظهور خاصة بعد الهدوء النسبي الذى عم البلاد واستقرار الاستعمار، وتحول حكمه العسكرى الى حكم مدني، وظهور شريحة من المثقفين ثقافة مزدوجة، سيطرت على الشريان

---

(1) أنظر — يحي بوعزيز — ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين .ص: 24

(2) أنظر — أبو القاسم سعد الله . مدارس الثقافة العربية . . .مجلة الثقافة(79) ص: 65

(3) أنظر — مصطفى الأشرف — الجزائر الأمة والمجتمع — ص: 128— 129

الثقافي والتحرك الاجتماعي . ومن العوامل التي أثرت في هؤلاء المثقفين هو تزودهم بثقافة المستعمر وتأثرهم بالافكار الاصلاحية " للافغاني ومحمد عبده " [1]، وكذا اختلاطهم بالمجتمع الغربي ، والحضارة الغربية عن طريق العمل ، والتجنيد ، بالاضافة الى بعض معالم النهضة التي ظهرت آنذاك في المجتمع الجزائري ، مثل الصحافة ، والتعليم الفرنسي [2]، ومن أهم هؤلاء المثقفين عبد القادر المجاوي ، والمولود بن الموهوب ، ومحمد بن أبي شنب ، وعبد الحليم بن سماية [3] ولقد تركزت جهودهم ، حول البحث عن الهوية والذات الحضارية للمجتمع الجزائري ، وعبرت عن هذا الاتجاه بعض الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة (1871 — 1914)، منها أعمال " بن عمار " و " ابن مريم و "الورتيلاني " و الغبريني . وأشهرها ، موسوعة تراجم شخصية، التي أصدرها في 1907 " أبو القاسم الحفناوي" [4]

— وتعتبر الفترة المذكورة ، مرحلة تمهيدية لظهور حركة الاصلاح الباديسي ، وحتى وان انتفى ، الاتصال المباشر بين ابن باديس وهؤلاء الأشخاص [5]، الا أنه كان لأعمال هؤلاء المصلحين تأثيرات عدة على المشروع الباديسي [6]، منها احتكاكهم بالمجتمع الفرنسي وحضارته الغربية ، وبالتالي ، تمكنهم من بعض تقنيات العمل والنشاط الثقافي ، والتربوى مثل الكتابة ، والصحافة وأيضا احتكاكهم بالحركة الاصلاحية السلفية، بالمشرق وتبنيهم لبعض أساليبها الدعوية ، خاصة في محاربة العقائد الفاسدة،

---

(1) أنظر — أبو القاسم سعد الله — مدارس الثقافة العربية . . . ص 73

(2) أنظر — يحي بوعزيز — ثورات الجزائر . . . ص 77

(3) أنظر — توفيق المدني — حياة كفاح — ص (46 — 52)

(4) أنظر — أبو القاسم سعد الله — الحركة الوطنية الجزائرية 1900 — 1930 — ص : 141 — 142

(5) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 47

(6) أنظر — حمودة سعيدي — مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية لمالك بن نبي ص : 59 — 61

ومن تأثيراتهم كذلك محاولتهم ،طرح مشاكل المجتمع الجزائري، والبحث عن حلول لها ،عن طريق العلم والتعليم، وقد تجسد ذلك جليا في شعار ابن الموهوب ،الذى مفاده أن الجزائر وصلت الى أسفل نقطة في سلم التدهور، ولكي تتخلص من هذه الحالة ،يجب عليها أن تؤمن بالتقدم ،والتعليم بكل الوسائل ،والتسامح ،والعودة الى منابع الاسلام الصافية [1].

وكل هذه التأثيرات ،كان لها صداها في الحركة الاصلاحية الباديسية ،التي التزمت الاصول والمنابع الصحيحة وركزت على التربية كأداة لتغيير صحيح وأصيل في المجتمع الجزائري ،وأهم تأثير ،هو استفادة ابن باديس من تعامل هؤلاء المصلحين مع الاستعمار والمشروع الاستعماري ،اذ أدركوا قيمة الأرضية التي بناها هؤلاء لاعادة بناء المجتمع الجزائري وبناء حضارته .

(1) أنظر ـ أبو القاسم سعد الله ـ الحركة الوطنية ـ 1900 ـ 1930 ص: 142 ـ 143

2 ــ 4 أسس المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس

أ ـ التصور الاسلامي :

ــ يقول عبد الرحمن سلوادى " ان فلسفة التربية نفسها في كل أمة يجب أن تكون نابعة من حقائق حياتها ومعبرة عن مثلها العليا واتجاهاتها ، والامام ابن باديس ، كما هو معروف مصلح سلفي ومربي اسلامي ... "[1] وقد التزم ابن باديس في عمله التربوى الاصلاحي ، منهج التغيير الاسلامي كما ذكرنا سابقا ومن هنا نستنتج أن التصور الذى بني عليه المشروع التربوى الاصلاحي هو تصور اسلامي . ويؤكد ذلك قوله " لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ... ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم ، ولن يصلح تعليمهم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوى "[2] اذن فالتصور الاسلامي بخصائصه ومقوماته [3] كان ركنا رئيسيا في المشروع الباديسي وكان له أثر كبير في توجيهه وكذا دفعه نحو غايات معينة ، ستوضح من خلال النقاط التالية :

ــ تحديد التصور الاسلامي لمبادئ الاصلاح عند ابن باديس ، اذ ركز ابن باديس على الجانب العقائدى عند الانسان محاولا تصحيحه بترسيخ العقائد الاسلامية الصحيحة[4] وهذا من ميزات التصور الاسلامي ، الذى يرى أن الاعتقاد والايمان بالمبدأ ، يكون قبل العمل به[5]. طبقا للمقولة : " لأن العقيدة في رأيه ــ ابن باديس ــ هي اللبنة الاساسية في بناء الاسلام"

(1) حسن عبد الرحمن سلوادى ــ ابن باديس مفسرا ــ ص : 163

(2) عبد الحميد بن باديس ــ آثار الامام عبد الحميد بن باديس ــ ص : 74

(3) ملاحظة للاستفادة راجع سيد قطب . خصائص التصور الاسلامي ومقوماته

(4) راجع عبد الحميد بن باديس ــ العقائد الاسلامية

(5) أنظر ــ سورة " العصر "

والأساس الذى تقوم عليه حياة المسلمين وهي التي تكون المنطلق الفكرى لعقلية المسلم والأساس النفسي لسلوكه فمنها تنبثق نظرته الى الحياة ، وعلى أساس فلسفتها ينبني نظامه فيها "(1)

بالاضافة الى تأثير التصور الاسلامي على أسلوب الاصلاح لدى ابن باديس ، فانه اختار أسلوب البناء ، وهو أسلوب يفرضه التصور الاسلامي ، الذى يهدف الى تغيير ما بالنفس لتغيير الواقع ، ولهذا كانت وسيلة الاصلاح لابن باديس هي التربية ، لأنها أقدر وسيلة على تجسيد أهداف هذا التصور ، وهو التغيير الشامل ، لأن : " طريقة الاسلام في التربية معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة لاتترك منه شيئا ، جسمه ، وعقله ، وروحه ، حياته المادية والمعنوية ، وكل نشاطه على الأرض "(2) .

- أما عن تأثير التصور الاسلامي في أهداف المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس ، فكان أمرا حتميا لأن غاية الانسان ، وغاية أعماله في هذه الحياة ، حسب التصور الاسلامي هي تجسيد خلافة الله في الأرض (3) . وقد التزم ابن باديس بهذه الغاية في تذكير الانسان برسالته ، وبالامانة التي حملها .(4) ونلاحظ أيضا تأثير التصور الاسلامي على النموذج المعرفى الذى كان يقدمه ابن باديس في تربيته ، لأنه كان يدرك أن "النموذج الموحي للمعرفة ، جزء صغير من المعرفة البشرية ، لكنه هو الجزء الرئيسي " والأهم والحيوى ، اذ الانموذج المعرفي الموحى ، هو النواة الدائمة التي يجب أن يتبعها جميع جهود المعرفة البشرية من بحث وتأمل وتجديد وتجريب . " (5) ونلاحظ هذا مع

---

(1) حسن عبد الرحمن سلوادى — عبد الحميد بن باديس مفسرا — ص : 76
(2) محمد قطب — منهج التربية الاسلامية — ص : 19
(3) أنظر — عبد المجيد النجار — خلافة الانسان بين الوحي والعقل — ص : 41
(4) أنظر — الطيب برغوث — تصور ابن باديس للمجتمع الاسلامي . . . ص : 21
(5) كليم صديقي — التوحيد و التفسيخ . . . ص : 9

خلال المواد والكتب التي كان يدرسها .[1]

ـ نستنتج من هذا العرض ، أن ابن باديس قد التزم التصور الاسلامي في رؤاه النظرية ، وعمله وأهدافه ، وكانت غاية هذا الالتزام ، أنه حين أراد اصلاح المجتمع الجزائرى ، الـذى كان أنذاك تحت تأثير المشروع الاستعمارى ، لم يجد أفضل ولا أنجع من الاصلاح الاسلامي لذلك الموضع المتدهور، وهذا لأن المجتمع الجزائرى أصلا مجتمع اسلامي ، بني على قواعد اسلامية وان اختيار أى منهج آخر ، لاصلاحه سوف يجد معارضة ورفضا داخليا من طرفه ، ومن ناحية أخرى وهي الأهم ، أن المشروع الاستعمارى وأهدافه التدميرية ، كانت موجهة مباشرة لتدمير الأصول الاسلامية للمجتمع الجزائرى ، وهذا لمكانة هذه الأصول في بنية هذا المجتمع ، لذلك عمد ابن باديس على تركيز وتمكين الأصول الاسلامية التي محورها التصور الاسلامي ، ليرد على المشروع الاستعمارى الفرنسي ، ويبطل أهدافه . ولهذا الغرض اتخذ من التصور الاسلامي أساسا لمشروعه التربوى الاصلاحي ، ادراكا منه للتواصل التاريخي للمجتمع الجزائرى الاسلامي ، وردا على المشروع الاستعمارى الفرنسي .

ب ـ الانتماء العربي :

ـ يكمن الأساس الثاني الذى بني عليه المشروع التربوى الاصلاحي الباديسي ، في ايمانه العميق بضرورة الانتماء الى الامة العربية [2] . فهو يقر أن سكان الجزائر هم من أصل بربرى ، ولا يحاول الانكار ، ويقر أيضا أن " الامازيغ أبناء الوطن دخلوا في الاسلام ، وتعلموا لغة الاسلام العربية ، طائعين . . . فامتزجوا بالحرب ، بالمصاهرة ، وقاسموهم كل مواقف الحياة ، فأقام

(1) انظر ـ عمار طالبي ـ ابن باديس حياته اثاره ـ م2ـ ج 3 ـ ص: 229

(2) أنظر ـ حسن عبد الرحمن سلوادى ـ عبد الحميد بن باديس. . .ص: 236 239

الجميع صرح الحضارة الاسلامية "[1] وانطلق ابن باديس في تحديد الانتماء العربي للمجتمع الجزائري من الرؤية الاسلامية، وبالضبط من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "... أيها الناس الرب واحد، والاب واحد، وليست العربية بأحدكم من اب أو أم، وانما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية، فهو عربي "[2] وبما أن المسلم ملتزم بتعلم اللغة العربية، لغة دينه، اذن فيصبح كل مسلم عربي، وان يكن انتماؤه العرقي غير ذلك، وبهذا فان الانتماء انتماء الى حضارة، والى دين، وليس انتماءا الى جنس أو عرق معين [3]، ونفس الشيء بالنسبة لموقع اللغة العربية من الاسلام، والحضارة الاسلامية، اذ تعتبر الوعاء المادى الذى حوى انتاج المجتمع الاسلامي، وبما أنه لايمكن لاى شعب أن يبني مستقبله مفصولا عن ماضيه، وابن باديس رأى أن امكانيات بناء مستقبل المجتمع الجزائري تكمن في ماضي وحاضر حضارته، عبر اللغة العربية التي تشكل أداة التواصل بينهما، فهو يقول : " ان أعداءنا علموا ألا بقاء للاسلام الا بتعليم عقائده، وأخلاقه، وأدابه،... ولا تعليم له الا بتعليم لغته، فناصبوا تعليمها العداء. "[4] وهو الامر الذى زاد ابن باديس حرصا على التمسك بالانتماء العربي، كأساس لمشروعه التربوى .

— بالاضافة الى ما ذكر نجد المبرر الاساسي لاتخاذ الانتماء العربي كأساس للمشروع التربوى الباديسي ، يعود الى المجهودات الكبرى التي بذلها الاستعمار الفرنسي، من أجل القضاء على اللغة العربية، وعزل المجتمع الجزائرى، عن انتمائه العربي، وهذا رغبة منه في ضرب احدى القواعد الاساسية التي يقوم عليها هذا المجتمع، وكذا القضاء على الدور التوحيدى

(1) محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر. ص : 47 — 48
(2) آثار الامام عبد الحميد بن باديس ج4 ص : 300 — 301
(3) أنظر — أحمد بن نعمان — مفهوم العروبة عند ابن باديس — مجلة الرسالة (3 . ؟)، ص: 27
(4) رابح تركي — عبد الحميد بن باديس ... ص: 340

الذى تقوم به اللغة العربية بين أفراد المجتمع الجزائرى، وبين هذا المجتمع والمجتمعات الاسلامية الاخرى، وكان هذا يحفز الاستعمار على القضاء عليها، وقد بذل في هذا الصدد كثيرا من المجهودات [1]، واستخدم العديد من الوسائل [2] من خلال مشروعه الاستعمارى، وخاصة في مجال التربية، ولهذا كان على ابن باديس عندما بدأ في بناء مشروعه الاصلاحي أن يراعي هذه المجهودات الاستعمارية، وأن يرد عليها بطريقة فعالة، وهذا ما انعكس على التعليم العربي الذى كان يشرف عليه، وهو أيضا ما يوضح الصراع الذى كان بين ابن باديس، والادارة الاستعمارية، خاصة، حول " قرار 8 مارس 1938 الذى أصدره وزير داخليتها " شوطان " القاضي بمنع التعليم العربي، واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لاتعلم الا بترخيص، خاص " [3] ولهذا فاتخاذ ابن باديس من الانتماء العربي أساسا لمشروعه التربوى الاصلاحي، يدل على وعيه لحقيقة الصراع الحضارى الذى كان آنذاك، بين المجتمع الفرنسي " الغربي، والمجتمع الجزائرى، الاسلامي كما يدل على ادراكه لأسلوب الرد الفعال على المشروع الاستعمارى وذلك، من خلال التمسك بأصول المجتمع الجزائرى، ومنها الانتماء العربي .

ج ـ الوطن الجزائرى:

ـ يقول ابن باديس " . . . أما الجزائر، فهي وطني الخاص، الذى تربطني بأهله روابط من الماضي، والحاضر والمستقبل، بوجه خاص، وأنا أشعر، بأن كل مقوماتي الشخصية،

---

(1) أنظر ـ الفصل الثاني من الباب الاول

(2) أنظر ـ رابح تركي ـ التعليم القومي والشخصية الجزائرية .ص: 106 . 108

(3) رابح تركى ـ عبد الحميد بن باديس . . .ص : 340

مستمدة منه مباشرة ... وكما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة اليه ، الى رجاله ، والى حالته ، والى آلامه والى آماله ، كذلك أجدني اذا عملت ، قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة اليه ، هكذا ، هذا الاتصال المباشر ، أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال ".[1] نستخلص من هذا القول أن فهم ابن باديس لمعنى الوطن ، فهم موضوعي ، لا تعصب فيه ، فهو يقر الوطنية الايجابية ، حيث يكون التفاعل بين الانسان ووطنه ، دون أن يضر بالأوطان الأخرى ، ولقد اتخذ ابن باديس من هذا الفهم أساسا مهما ، في عمله الاصلاحي ، جعله يتفاعل معه ايجابيا ." فقد كان احتكاكه بواقع الجزائر ، فرصة لمعاناة المشاكل عن كثب كما أن تفاعله مع الأحداث الوطنية ، قد ساعده على الاندماج في الأمة ، والارتباط بالجماهير ... "[2] .

- بالاضافة الى معايشة ابن باديس للواقع الجزائري وايمانه بالجزائر وطنا له ، نجد من دواعي اعتماده على مفهوم الوطن الجزائري كأساس لمشروعه الاصلاحي ، المحاولات المتكررة للاستعمار لمحو هذا المفهوم من ذاكرة الشعب الجزائري ، وسياسة الادماج ، وعمليات التجنيس[3] ماهي الا القليل من هذه المحاولات ، كما استخدم الاستعمار ، التعليم للقضاء على هذا المفهوم ، وحاول أن يرسخ في أعماق النشء الجزائري أن بلادهم كانت تسمى قديما " غاليا وأجدادهم الغاليون"[4] وقد اختمرت هذه الفكرة عند بعض من الجزائريين ، أمثال فرحات

---

(1) آثار الامام عبد الحميد بن باديس ... ج 4 - ص : 112
(2) علي علواش - حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الاصلاحية . ص: 77
(3) أنظر - رابح تركي - التعليم القومي ... ص ١١٤ - ١٨٥
(4) أنظر - عبد العاطي جلال - فرنسا في الجزائر - ص : 48

عباس ، الذي كتب مقالا سنة (1936) ، نفى فيه وجود وطن يسمى الجزائر ، وقد رد عليه ابن باديس في مقالة تحت عنوان " كلمة صريحة "[1].

— وكان بذلك ابن باديس في عمله الاصلاحي منطلقا من واقع الجزائر ، وعاملا بامكانياتها ، ولصالحها ، وكان اساسا هاما في العمل الاصلاحي ، الذي كان من أهدافه اعادة بناء مفهوم الوطن لدى الانسان الجزائري لجذبه نحو ذاته ، ونحو تاريخه ، ومن ناحية ثانية الوقوف في وجه المشروع الاستعماري الذي عمل على محو هذا المفهوم ، وجعل الوطن الجزائري جزءا تابعا لفرنسا ، لا هوية ، ولا تميز له ، وشكل تركيز ابن باديس على مفهوم الوطن الجزائري ردا تاريخيا على التحدي الاستعماري ، وأحسن ما يوضح هذا الرد ، هو فتوى ابن باديس بتحريم التجنس بالجنسية الفرنسية .[2]، التي كانت — الفتوى — بمثابة الضربة القاضية لاحد أخطر الاعمال على هوية الانسان في الجزائر ."

---

(1) انظر : عمار طالبي — ابن باديس — حياته وآثاره — م2 — ج 3 — ص : 383 .

(2) نشرت بالشهاب أفريل 1936 .

— الفصـل الثـالـث —

— المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس (وسائله وأبعاده)

3 — 1 : مقدمـة .

3 — 2 : وسائل المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس

أ — المساجد

ب — المعاهد التربوية

ج — الصحافة

3 — 3 : أبعاد المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس

3 — 4 : خاتمـة .

المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس (وسائله وأبعاده)

3 — 1 : مقدمة :

- يأتي هذا الفصل الأخير ، كنتيجة للفصول السابقة وكجواب على الأسئلة التي طرحت ضمنيا ، فيما سبق ، على مستوى فصول البحث. ومن خلاله نتعرف على تلك المواجهة التي حدثت ما بين " الذات " و " الآخر " ، تلك المواجهة الحضارية ، بين المشروع الغربي التفسيخي ، والمشروع الاسلامي الاصلاحي الذى كان المشروع التربوى الباديسي أحد أهم راياته . ولكي نتمكن من الوصول الى الغاية التي حددناها لهذا الفصل ، فاننا حاولنا اتباع الطريقة التالية :

- نقوم بتحليل النقاط المختلفة للفصل في اطار المعيارين : الاستعمار ، وقابلية الاستعمار ، وهما في الأصل مقولتان مؤخوذتان من تحليلات " مالك بن نبي " للمجتمع الجزائرى ، والتي وردت في العديد من دراساته ، وكتبه ، خاصة كتاب " شروط النهضة " ، واعتمادنا على هذين المقولتين هو نتيجة لتوافقهما مع منهجية التغيير الاسلامي التي أخذ بها كل من ابن باديس و"ابن نبي " ، وتتمثل هذه المنهجية في الآية الكريمة :" ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ."[1]، هذه الآية التي جعلها ابن باديس منهجية أساسية لمشروعه التربوى الاصلاحي ،[2] وانطلق منها " ابن نبي " في تحليله للحركة الاصلاحية عامة، ولعمل ابن باديس خاصة .[3] ، ويبدوا ذلك جليا في قوله :" كان

(1) سورة الرعد — الآية11
(2) أنظر — صلاح الدين الدين جورشي — تجربة في الاصلاح . . .ص : 22
(3) أنظر — مالك بن نبي — شروط النهضة — ص 221

الشيخ عبده ، يعلم علم اليقين ، أنه لكي يتحقق الاصلاح يجب أن تبدأ خطوته الأولى من الفرد ولقد وجد أساس هذه الفكرة ، في كتاب الله ، حيث قال (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ... وفي هذه الاية التي أصبحت شعارا لتلك المدرسة ، لاسيما عند الاصلاحيين بشمال افريقية ، نجد أن نفسية الفرد "هي العنصر الجوهري في كل مشكلة اجتماعية" (1) . لكن " ابن بني " يستخدم في دراسته لهذا التغيير وتقييمه للحركة الاصلاحية المقولتين السابقتين ، وهما الاستعمار وقابلية "الاستعمار ويقرر أن أي عمل يريد استنهاض الأمة ، وبعث حضارتها من جديد ، لابد عليه أن يقوم بتغيير ما بنفسه ، ليغير حالته ، ووضعه ، أي يقضي على قابلية الاستعمار ليتخلص من الاستعمار .

— أما عن المقولتين ، فيقول : " مالك بن نبي " محددا معنى العامل الاستعماري بسلسلة متكاملة من الأفكار والرؤى والتقنيات المتكاملة التي يعمل من خلالها المستعمر على "الحط من قيمة الأهالي بطرق فنية ، كأنه معامل جبري وضع أمام كل فرد بقصد التقييم من قيمته الايجابية " (2) ، هذا العامل يطارد الانسان المستعمر كاللعنة ، منذ ميلاده ، حتى وفاته ، وليس في امكان الانسان المستعمر عامة والجزائري خاصة ، أن ينهض بحالته الاجتماعيه والسياسية والاقتصادية والثقافية ... دون أن يأخذ "هذا العامل بعين الاعتبار ، ودون أن يعد له الاعداد المناسب ، هذا الاعداد الذي يتعلق بالمقولة الثانية ، وهي قابلية الاستعمال ، اذ أن " العلة مزدوجة ، فكلما شخرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج

(1) أنظر — مالك بن نبي — شروط النهضة — ص 221

(2) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 47

فاننا في الوقت نفسه نجد عاملا باطنيا يستجيب للعامل الخارجي ، ويحط من كرامتنا بأيدينا"[1] ، لان التركيبة العقلية ، والنفسية للانسان المستعمر ، فيها مجموعة من نقاط الخلل "لان الاستعمار لايتصرف في طاقتنا الاجتماعية الا بعد أن درس أوضاعنا النفسية ، دراسة عميقة ، وأدرك منها مواطن الضعف ، فسخرنا لما يريد ، كصواريخ موجهة ، يصيب بها ما يشاء"[2] ، وبهذا فالاستعمار يواجهنا بانفسنا ، واذا اردنا أن نعيد بناء أنفسنا ، فلا يمكن لنا ذلك الا بالقضاء على عامل الاستعمار .

— ولا يمكن القضاء على هذا الاخير ، الا بالقضاء على قابليتنا للاستعمار ، والتحرك ضد مخططاته ، عند ذلك تكون محاولتنا النهضوية محاولة فعالة ، وايجابية ، فهل كانت المحاولة التربوية "الاصلاحية ، لابن باديس محاولة فعالة التزمت خط التغيير الاسلامي وبالتالي ردا تاريخيا على المشروع الاستعماري حسب هذين المقولتين ؟

— بالاضافة الى تحديد الاطار المعياري ، للبحث فاننا سنعمد في الفصل التالي ، الى التركيز على الناحية التربوية من جهة ، وكذا تغطية التحليل ، تغطية علمية ، تربوية ، وبصورة أوضح فاننا سنحاول تحليل أبعاد المشروع تحليلا تربويا وهذا بالاستناد على الاسس النفسية والتربوية — البيداغوجية ، لمختصين في الميدان .

— أما فيما يخص مباحث الفصل فهي اثنان :

1 — تحديد الوسائل التي استخدمها المشروع التربوي

---

(1) مالك بن نبي — شروط النهضة — ص : 231
(2) مالك بن نبي — شروط النهضة — ص : 231

الباديسي ،وعي المسجد ،المعاهد التربوية ، والصحافة

2 ــ الابعاد المختلفة للمشروع الاصلاحي لابن باديس .

3 — 2 : وسائل المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس :

— تطرقنا في الفصول التي تناولنا فيها المشروع الاستعماري الى الجانب السلبي من خطة الاستعمار الذى تمثل في هدم المراكز عامة ، والمراكز التربوية خاصة ، وما تحويل جامع"كتشاوة" الى كنيسة "الا تعبيرا عن تلك الخطة ، ولم يقم الاستعمار بتلك الخطة عبثا ، انما ادراكا منه ، أنها مراكز القوة والحياة في المجتمع الجزائري . وكان مفروضا على ابن باديس كي يقوم باصلاح المجتمع أن يراعي الوسائل ، كشرط من الشروط الاساسية لتلك النهضة لانه كما يقول " ابن نبي " " ليس يكفي مجتمعا لكي يصنع تاريخه ، أن تكون له حاجات ، بل ينبغي أن تكون له مبادئ ، ووسائل تساعده على الخلق ، والابداع ." [1] ورغم قساوة واقع المجتمع الجزائري أنذاك ، وسوء حالته ، وهيمنة الاستعمار على جميع الامكانيات المتواجدة ، وتسخيرها لخدمة مشروعه الاستغلالي ، وبالرغم من هذا لم يعجز ابن باديس عن ايجاد الوسائل لتنفيذ مشروعه التربوي ، التي كان بعضها قديما قدم الامة الاسلامية ، والبعض الاخر مستحدثا هذه الوسائل هي : المساجد ، المعاهد التربوية ، والصحافة .

أ — المساجد :

— كانت المساجد النواة الاولى لقيام المجتمع الاسلامي بالاضافة الى كونها دور عبادة ، يتم فيها تعميم التربية ، والاعداد الشامل للمجتمع ، بمختلف شرائحه ، حيث كانت تقوم " في المسجد النبوي ، والمساجد الاولية الاخرى ، التي شهدت في عهد النبي (ص) وخلفائه كانت تقوم حلقات العلم ومجالس

---

(1) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص : 132

القصاص الذين كانوا يذكرون الناس مانسوا من أمر الآخرة ، ويعلمونهم أمور دينهم ." (1). وبذلك اقترن المسجد في المجتمع الاسلامي بمهمة التعليم عبر دورات تاريخه المتتالية، وقد أدرك ابن باديس حقيقة تجذر الدور التربوي للمسجد في أعماق المجتمع الاسلامي ومنه الجزائري ، (2) ، وأدرك كذلك أن الواقع الجزائري آنذاك ، لايمكن لأية حركة تربوية أن تنجح فيه ، ان هي حاولت أن تزاحم المشروع التربوي الاستعماري ، في مؤسساته ، لأنه لن يسمح لها أبدا ، والشيء الثالث الذي أدركه ابن باديس في هذا المجال ، هو أن المكان المقدس الذى تتجاوب فيه الأمة روحيا ، وماديا ، مع مايقدم لها خاصة اذا أحست بصدقته وطهارة غايته — هو المسجد ، وهو يدعوا في أحد مقالاته الى ضرورة اقامة التعليم المسجدى، في الأمة فيقول :" الاسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين ، وانما يسعد هما به من اعتقد عقائده ، وتأدب بآدابه ، وارتبط باحكامه في الظاهر والباطن من أعماله ، ولابد لهذا كله من التعليم الديني ، الذى محله المساجد، وبدونه لاسبيل الى شيء من هذا كله ." (3).

— نستخلص من هذا القول أن ابن باديس فهم دور المسجد فهما واسعا ، فهو يعرف مسبقا العلاقة بين المسجد والبناء النفسي الاسلامي لهذا الشعب ، ويدرك نتيجة احياء وبعث هذه العلاقة ، عن طريق بناء مشروع تربوى متكامل ، وفعال غايته دفع الأمة لاعادة بناء ذاتها الاسلامية ، ومن ثم نموذجها الحضاري ، ويكون المسجد هو المنطلق لهذا البعث، ورغم أن ابن باديس ، قد وجد صعوبة، في بداية تعليمه

---

(1) محمد سعد أطلس — التربية والتعليم في الاسلام — ص : 62

(2) أنظر — آثار الامام عبد الحميد بن باديس — ج 4 — ص : 94

(3) أنظر — آثار الامام عبد الحميد بن باديس — ج 4 — ص : 95

في المساجد ، خاصة ، تلك التي كانت تحت اشراف السلطة الاستعمارية [1] ، الا أنه بدأ الخطوة الأولى من مشروعته عندما " بتدأ حركة التعليم شاملة للكبار، والصغار معا ، وذلك في عام 1913 "[2]، وكان ذلك بالجامع الكبير ثم رابط في جامع " سيدى الأخضر" لمدة ربع قرن ، وكذلك درس في كل من مسجد " سيدى قموش" ومسجد " سيدى عبد المؤمن " ومسجد " سيدى بومعزة" [3] .

— هذا ما تعلق باطاره الخاص، أما اذا نظرنا اليه في اطاره العام ، ومن منظار واسع فان ابن باديس قد امتدت رؤاه التربوية ومجهوداته العملية في ميدان النشاط التربوى المسجدى ؛ الى جميع أنحاء البلاد الجزائرية ، خاصة بالتعاون مع رجال جمعية العلماء المسلمين ولم يوقف نشاطه المسجدى يوما ما ، حتى آخر حياته ، وقد أثمر مجهوده هذا على المديين القريب ، والبعيد ، بانتشار حركة التعليم بين أبناء الجزائر ، صغارا وكبارا ، رجالا ، ونساءا ، وتفشي حب العلم والتعليم ، ومن ناحية أخرى مهد النشاط التربوى المسجدى ، لخطوات أخرى ، في المشروع التربوى الاصلاحي كانت اكثر عمقا ، وابعد هدفا . لكن المسجد لم يكن المؤسسة الوحيدة للمشروع بل كانت هناك مؤسسات أخرى لها دورها المهم والخاص .

ب — المعاهد التربوية :

— أهم المعاهد التي استخدمها ابن باديس في تنفيذ

---

(1) انظر Ali merad - Ibn Badis commentateur du coran, p. 3e

(2) رابح تركي — عبد الحميد بن باديس. . . ص : 358

(3) انظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس. . . ص : 358

مشروعه التربوى مباشرة ، وتحت اشرافه ، هو معهد جمعية التربية الاسلامية [1]، الذى كان عبارة عن مدرسة ابتدائية فوق سطح مسجد "سيدى بومعزة" ثم نقل المقر الى بناية الجمعية الخيرية الاسلامية سنة (1917) ، وفي أواخر عام (1930) قرر ابن باديس تسمية هذه المدرسة باسم " مدرسة التربية والتعليم الاسلامية " ، كما تحولت الجمعية الخيرية الى جمعية معترف بها رسميا ، وتغير اسمها الى جمعية التربية والتعليم الاسلامية [2] أما المعاهد التي ساعدته في تنفيذ مشروعه التربوى بطريق غير مباشر ، فهي مدارس جمعية العلماء المسلمين ، التي انتشرت في أغلب مناطق البلاد بالاضافة الى عدد كبير من النوادى الثقافية .

— وقد اهتم ابن باديس بالمعاهد التربوية ، لتأكده أن المسجد بالرغم من أهمية دوره ، فإنه لايمكن أن يواجه النشاط التربوى الاستعمارى ، الذى يمتلك عددا كبيرا من المدارس ، وذلك لمحدودية قدرة استيعابه ، ومحدودية دوره التربوى ، وكذا لعدم التمكن من ادخال تغييرات عصرية على المسجد ، لذلك كانت فكرة انشاء معاهد تربوية هي الحل ، لهذا المشكل وهي المكمل لدور المسجد . فقد كان دورها اخراج هدف التربية والتعليم من هدف جزئي ، وهو تزويد المتعلم بالمعلومات ، الى هدف أكبر ، يتمثل في اعداد الانسان الجزائرى ، في مختلف مجالات الحياة والحضارة ، مهما كانت بساطة الامكانيات . وفعلا هذا ماحدث في " جمعية التربية والتعليم " بقسنطينة ، اذ تطورت دورها من الوظيفة التعليمية الى الوظيفة التربوية الاعدادية ، الى درجة أن بدأ ابن باديس ، ومن معه بالتفكير في بناء مصنع ، وملجأ

---

(1) انظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 358 — 365

(2) أنظر — رابح تركي — عبد الحميد بن باديس . . . ص : 366

للأيتام [1] . بل وحتى كلية اسلامية ، في قسنطينة تقوم مقام الأزهر ، في مصر ، والزيتونة في تونس .

— ومن هذا نستنتج أن وظيفة المعاهد التربوية كوسائل في المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس ، عملت من ناحية على جمع طاقات المجتمع الجزائري ، وتركيزها في مؤسسات فعالة ، تساهم مساهمة فعالة ، في اعادة بناء ذات الانسان وتكوين اللبنة الأساسية في المجتمع الجديد ، المراد بنائه من جميع الجوانب المادية والمعنوية ، وكذا اخراج النشاط التربوي من صورته التقليدية ، في المساجد والكتاتيب ، الى صورة جديدة تتماشى والعصر المعاش ، ومن ناحية ثانية ، وضع حد لاحتكار المشروع الغربي للساحة التربوية ، وذلك ببناء معاهد تربوية تنافس معاهده مع فارق جوهري يتمثل في أنها تقدم للانسان ما يوافقه وينفعه ، عكس معاهد الاستعمار التي لا تقدم الا ما ينفع أصحابها ، وبهذا الاختيار للوسيلة الفعالة ، فان المشروع أخذ بعين الاعتبار سنن التطور التاريخي ، للمجتمع الجزائري ، فكان بذلك نقيضا ورداً على المشروع الاستعماري .

ج — المؤسسة الصحفية :

— ان الطرف الأقوى ، في الصراع الحضاري بين الأمم ، هو الذي يفرض وسيلة الصراع المتاحة لديه ، والتي يدرك من خلالها فعالية عمله . وقد افتتح الاستعمار منذ استقراره في الجزائر وبدايته لخطط مشروعه الاستغلالي للجزائر افتتح أن الصحافة ، والاعلام وسيلة فعالة ، ويمكن أن تخدم مشروعه ، فبدأ في إقامة مؤسسة الصحيفة ، ذات الاهداف

(1) عبد الحميد ابن باديس — آثار الامام عبد الحميد بن باديس — ج 4 — ص : 149

التدميرية المعروفة [1]

– وعندما شرع ابن باديس في تنفيذ مشروعه، تنبه الى الدور الخطير للصحافة الاستعمارية، فأنشأ مؤسسة صحفية، كوسيلة من وسائل مشروعه، وفي نفس الوقت كرد على الصحافة الاستعمارية، وفي هذا الصدد يقول "كان لزاما علينا أن نؤسس لدعوتنا، صحافة تبلغها للناس فكان " المنتقد " وكان " الشهاب" ، ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام."[2] فكانت هذه الصحافة تخدم مشروعه التربوي الاصلاحي، وتواجه المؤسسة الصحفية الاستعمارية وبادر الى ذلك، منذ أن بدأ عمله الاصلاحي فساهم في سنة (1919) في تأسيس جريدة " النجاح "[3]، لكنه سرعان ما تركها لتأكده أنها لا يمكن أن تخدم أهدافه وانطلق في بناء مؤسسة الصحفية الخاصة، الخاضعة كليما، لتنفيذ خطوات مشروعه، وأسس سنه (1925) جريدة المنتقد"، وعندما قامت فرنسا بتعطيلها استخلفها بجريدة " الشهاب"[4] التي رافقته في رحلته الجهادية، الى أواخر أيامه، كما قام كذلك بمعية رجال جمعية العلماء، بتأسيس جرائد أخرى، تعطلت الواحدة تلو الأخرى، ولقد نشر الكثير من المقالات فيها.

– أما عن أهداف المؤسسة الصحفية التي أقامها ابن باديس، فهي ايصال أهدافه الاصلاحية، الى جماهير الأمة الواسعة، واستيعابها، وتحريك جمودها، لكون الجرائد مناسبة لذلك أكثر من الوسائل الأخرى، بحكم خصائصها الاتصالية الجماهيرية، التي ساعدت المشروع الذاتي الاصلاحي

---

(1) أنظر – محمد ناصر – ابن باديس – أسلوبه الصحفي – الرسالة (2–3) . ص: 55
(2) عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – م2 – ج3 – ص: 28
(3)
(4) انظر – محمد الصالح رمضان – صحافة ابن باديس – جريدة الشهاب . 1 . ص: 3

للأمة على دخول الميدان الاعلامي ، ودفعه الى التجذر في أرض الواقع ، بالاضافة الى نشر اللغة العربية باعتبارها احدى مقومات شخصية المجتمع الجزائري [1] ، "هذا الى جانب وقف زحف آثار الصحافة الاستعمارية ، ومن سار سيرها ، نحو أهدافها التفسيخية للمجتمع ، وابطال تأثير المشروع الاستعماري ، في أحد أخطر مؤسساته (الصحف) ، ولقد أبلى ابن باديس ، البلاء الحسن في هذا الميدان ، لما تميز به أسلوبه الصحفي من " انطلاقة قلمه ، وتمرسه على الكتابات الصحفية ... همه الوحيد هو ايصال المعنى الى القراء " [2] بالاضافة الى التزامه بالاخلاق العامة ، في كتاباته ، وتجنب الاسفاف ، وكان مبدأه في هذا ، التزام " طريق الحقيقة المجردة ، والصدق والاخلاص ، والنزاهة ، والنظافة في الكلام ... " [3] ، وبهذا فالصحافة عند ابن باديس مؤسسة فعالة ، في عمله التربوي ، وقلعة حصينة من قلاع الاصلاح الاسلامي ، ومنارة علمية للشعب الجزائري ، وسد منيع في وجه المشروع الاستعماري التخريبي ، فكانت بذلك في مستوى الرد على تحدي ، هذا المشروع .

— نخلص في الاخير الى أن ابن باديس في اختياره لوسائل مشروعه التربوي ، قد فهم التطور التاريخي للمجتمع الجزائري ، وبهذا أحسن اختيار الوسائل المناسبة التي منها ، المتجذرة في أعماق المجتمع ، والفعالة في الواقع ، وأدرك معطيات واقعه المعاصر ، فلم يهمل التطورات والمستجدات ، فأخذ بما استطاع منها ، ووظفها لصالح مشروعه ، كما أدرك حدود قوة وسائل عدوه ، والتحدي الذي تشكله ، فأعد لها مايوازيها ، ويعادلها قوة ، وفعالية ، ووجه جهد وعمل هذه المؤسسات نحو هدفين

---

(1) أنظر — محمد ناصر — ابن باديس ... ص 55

(2) أمحمد ناصر — ابن باديس ... ص 56

(3) عمار طالبي — ابن باديس ... — م 2 — ج 3 — ص 231

مركزيين هما : اخراج الأمة من دائرة التخلف والجمود ودفعها بكل قوة ورزانة ، وعلمية الى اعادة بناء ذاتها الاسلامية، وبالتالي تتخلص من أسباب التخلف ، لتمتلك أسباب التمكين ، والهدف الثاني ، هو تحطيل المشروع الاستعماري في أثاره التفسيخية ، والتدميرية للمجتمع الجزائرى ، وبهذا يكون ابن باديس ، في اختياره لوسائل مشروعه التربوى الاصلاحي ، قد التزم موقف الرد التاريخي للمجتمع الجزائرى على تحدى المشروع الغربي الاستعمارى.

3 ـ 3 : أبعاد المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس :

ـ بالرغم من أن المشروع التربوى الاصلاحي وحدة متكاملة، في مبادئه ، ووسائله ، وأهدافه ، لكن ، هذه الصورة المتكاملة تخفي وراءها تفرعا وتخصصا جعلت من هذا المشروع الاساسي مشاريع فرعية ، يتكفل كل واحد منها بمحور ما ، في جانب معين ، من حياة المجتمع ، مع بقائه وفيا ، لنفس المبادئ ، ونفس الاهداف ، ويستخدم نفس الوسائل ، هذه المشاريع الفرعية كونت الأبعاد المختلفة للمشروع الأساسي ، الذى بني أصلا من أجل بلوغ مجموعة من الغايات ، وجعلت لكل غاية مقدمات خاصة، أصبحت تشكل مع غايتها بعدا من أبعاد المشروع التربوى الذى يرمي في الاخير ، الى غاية نهائية ، وهي اعادة بناء الذات الحضارية للانسان الجزائرى ، وهذا يستوجب العمل على مستوى الانسان بمساعدته على تغيير ما بنفسه من قابلية للاستعمار، وأيضا مساعدة الانسان على مواجهة المشروع الاستعمارى .

ـ نتناول فيما يلي الأبعاد المختلفة للمشروع التربوى الباديسي ، وغاياتها ، ويكون هذا بالاعتماد على مقالاته ، بالدرجة الأولى، لانها المادة الأساسية ، وكذلك على بعض الكتابات المتخصصة في الموضوع .

1 ـ البعد العقائدى :

ـ الاعتقاد ميزة من ميزات البشر ، فكل انسان يعتقد في شيء ما ويسند له قيادته الفكرية ، وبالتالي يدع له حرية صياغة تصوره ، الذى هو حجر الأساس في حياته عامة، وحياته الفكرية خاصة، والعقيدة في الاسلام لها خصوصياتها بالنسبة الى غيرها من العقائد ، لان الاسلام بكل اختصار

ايمان وعمل " الايمان يمثل العقيدة ، والاصول ، التي تنبثق عنها شرائع الاسلام ، ومنها تنبثق فروعه ، والعمل يمثل الشريعة ، والفروع التي تعتبر امتدادا للايمان والعقيدة . " [1] ، فالايمان لا يكون نظريا من أجل الترف الفكري ، انما هو تقرير الهي ، يجب الالتزام والعمل به ، والعمل ذاته يتطلب الايمان بعقيدة متكاملة .

— والعقيدة الاسلامية حددت بنص القرآن والسنة وذلك في قوله عزوجل : " آمن الرسول بما أنزل اليه ، من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . " [2] وكذلك ماورد في حديث النبي (ص) حينما سأله جبريل (ع) عن الايمان ، فقال : "أن تؤمن بالله وملائكته ، ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . " [3] . وابن باديس في مشروعه التربوي ، اعتنى بالتربية العقائدية عناية بالغة ، لعلمه بأهميتها في حياة الانسان ، وكذا لأهداف أخرى ، سوف نتطرق اليها ، فيما بعد ، وقد عمل على تلقين العقيدة الاسلامية على طريقة السلف الصالح ، لانه كان لا يميل الى طرق الفلاسفة والمتكلمة [4] لما فيها من تعقيد يمكن أن ينحرف بالمربى ، ولقد كان له مقرر خاص بتدريس العقيدة الاسلامية ، أسماه " العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية " وسنتعرض فيما يلي لبعض أفكاره وآراء حول العقيدة الاسلامية ، مع الالتزام بحدود الآية والحديث المذكورين .

ففيما يخص الايمان بالله يرى ابن باديس أن " الله الذي

---

(1) سيد سابق — العقائد الاسلامية — ص 7
(2) سورة البقرة — الآية 285
(3) الامام الطحاوي — أصول العقيدة الاسلامية . . . ص 95
(4) أنظر — حسن عبد الرحمن سلوادي — عبد الحميد ابن باديس . . . ص 79

لامعبود غيره ، ولا يستحق العبادة سواه ، خالق المخلوقات كلها ، والمالك لها ، والمدبر لأمرها ، والمتصرف فيها من أصغر مخلوق الى أعظم مخلوق " [1] أي أن الايمان بالله لدى ابن باديس ، واجب مطلق لاتصلح بدونه عقيدة ، ولا شريعة ، وحين يتطرق لصفات " الله " فانه يلتزم الأسلوب السلفي أي شرح الصفة بنص القرآن ، والسنة ، فيذكر لله صفة الحياة ، وصفة القدرة ، وصفة الارادة ، وصفة العلم وصفتي السمع والبصر وصفة الكلام ، وصفة الوحدانية [2] أما الايمان بالملائكة ، فيقول فيه : " الملائكة ، مخلوقون من نور ، لايوصفون بالذكورة ، ولا بالانوثة ، ميسرون للطاعات ، معصومون عن المعاصي مسخرون بإذن الله في شؤون الخلق . " [3] وفي هذا التزام بحدود النص لا زيادة فيه ، وكذا الايمان بالكتب ، حيث يقول : ابن باديس أن الايمان واجب بجميع الكتب المنزلة على الرسل ، والايمان بالكتب يوجب الايمان بالرسل ، ويقر بوجود الآخرة كما وصفها القرآن والسنة ، أما عن القدر فهو يراه كله عدلا لأنه من الله العادل عدالة مطلقة لاظلم في حكمه ، والايمان بهذا القدر حق ، وانكاره كفر [4]

— وقد عمدنا الى بعض الكتب القديمة المتخصصة في العقيدة الاسلامية مثل " أصول العقيدة الاسلامية " " للامام الطحاوي " ، والكتب الحديثة مثل " عقيدة المسلم " لمحمد الغزالي ، و" العقائد الاسلامية " " لسيد سابق " فوجدنا أن التزام ابن باديس بأصول العقيدة الاسلامية ، التزام كلي ، لم ينكر شيئا ، ولم يضعف شيئا ، بل كان مختصرا وشاملا ، موفيا بحق العقيدة ، مدركا لقدرة المتربي ، مشفقا عليه ، من الاساليب الملتوية ، والاطناب في المفاهيم ، والمصطلحات .

---

(1) عمار طالبي . ابن باديس . . . م1 — ج 2 — ص : 48
(2) ابن باديس — العقائد الاسلامية . . . ص : 64 — 70
(3) ابن باديس — العقائد الاسلامية . . . ص : 88 — 89
(4) ابن باديس — العقائد الاسلامية . . . ص : 92

— أما عن الاهداف التي كان ابن باديس يرجوها من وراء التربية العقائدية الذى قدمها في شكل دروس بالمساجد والمعاهد التي كان يدرس بها، فهي أولا مايخص المتربى اذ ادرك أن العقيدة . أساسية للانسان عامة، والمسلم خاصة، لأن " العقيدة في رايته هي اللبنة الاساسية في بناء الاسلام، والاساس الذى تقوم عليه حياة المسلمين، وهي التي تكون المنطلق الفكرى لعقلية المسلم والاساس النفسي لسلوكه " [1]، ومن الاهداف الاولية للمشروع التربوى لابن باديس، هو اعادة بناء الشخصية الاسلامية للانسان الجزائرى، التي أساسها العقيدة الاسلامية، ذات الاثر الكبير على حياة الانسان، والمجتمع، وكما يقول أحد المختصين في أمور العقيدة "أن الانسان يحس بأن ما يؤمن به ايمانا لايتزعزع من عقيدة دينية، هو القوة المدافعة التي تحثه على السير قدما في طريق هذا الدين، وتحضه على ممارسة الشعائر الدينية، وعلى اتيان فضائل الاعمال، واجتناب رذائلها، بل واكثر من ذلك ستقوده الى النصر والنجاح والتوفيق فيما يأتي من أفعال " [2] وفي هذا المجال، نجد الانسان الجزائرى، بالرغم من مولده في مجتمع اسلامي الا أن عقيدته، قد داخلها الكثير من الخلل فقد " تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت اشعاعها الاجتماعي، فأصبحت جذبية فردية " [3]، هذا الخلل الذى غذته جهالة شيوخ الطرقية، فأصبح اعتقاده لايثير فيه أى توجه صحيح نحو ادراك واقعه ومشاكله وطرق التخلص من ذلك، لهذا عمد ابن باديس الى تصحيح عقائد الناس، وبث الفاعلية فيها، لتستعيد دورها

---

(1) حسن عبد الرحمن سلوادى ــ عبد الحميد بن باديس . . . ص : 76

(2) محمد عبد الرحمن بيصار ــ العقيدة والأخلاق وأثرهما . . . ص : 71

(3) مالك بن نبي ــ وجهة العالم الاسلامي ــ ص : 48

في تحريك الانسان، ودفعه نحو انقاذ نفسه من بثورة الفساد، والجمود، ولهذا كانت الحرب بينه، وبين الطرقية جد حامية، وخطيرة، بذل فيها جهدا عظيما كبيرا من خلال محاورتهم والرد على انحرافهم [1]، بالاضافة لحالة المنبوذية التي كان يحسها ويعيشها الانسان الجزائري آنذاك، والتي تجسدت في الخوف والركون الى الأمر الواقع، دون محاولة التخلص منه، ولمساعدته على الخروج من هذه الحالة، كان لابد من تجديد ثقته التي أساسها الايمان بالله، والثقة فيه، والاعتقاد بأنه هو المحي والمميت، وأنه هو الرزاق وهذا يبعث على الاقدام، والشجاعة والطمأنينة، ويرفع، من قوى الانسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، هو الله، مصدر كل شيء [2] وكل، ذلك يخلصه من خوفه، وهروبه اللامفيد، كما للعقيدة دورفي اعادة ربط شبكة العلاقات الاجتماعية لانها في الاسلام أقدس رابطة بين الافراد فكلما كانت صحيحة، وفعالة كلما كان المجتمع متماسكا، وفعالا، ومن ناحية أخرى سمو معتقد المجتمع، يدفعه قدما للتحرك وبذل الجهد اذ " كلما ارتقى هذا التصور في المجتمع ازدادت حاجاته، ومقتضياته الاصلاح فيه بل وازداد شعوره بأن طاقاته يجب أن تمس وامكاناته يجب أن تضاعف" [3]، وهذا ما كان يهدف اليه ابن باديس من التربية العقيدية من ناحية العمل على اعادة تقويم الشخصية الاسلامية، للانسان، الجزائري، وكذا التصدي للمشروع الاستعماري في جوهره الذي كان هدفه المركزي، – كما سبق ذكره – هو ضرب عقيدة

---

(1) أنظر : Ali merad - Ibn Badis commentateur... p 102-104

(2) أنظر: سيد سابق – العقائد الاسلامية – ص : 85 – 88 .

(3) محمد عبد الرحمن بيصار – العقيدة والاخلاق وأثرهما . . . ص: 72 .

الانسان ، والمجتمع ، تمهيدا لتفسيخ وتحليل باقي مقوماته ، حتى يصبح جسدا بلا روح ، لهذا نستنتج أن التربية العقائدية في المشروع التربوي الباديسي ، كانت مركزة على تخليص الانسان من قابلية الاستعمار عن طريق تطهير عقيدته واعادة فاعليتها ، للتمكن من مواجهة المشروع الاستعماري ، وبهذا يكون ابن باديس قد التزم خط الرد التاريخي والبعث الحضاري للمجتمع الجزائري .

2 ـ البعد الروحي :

ـ الجانب الروحي في الاسلام ، جانب غني ، سواء من ناحية تحديد التصور الاسلامي لهذا الجانب اذ يرى ان " الروح البشرية قد جعلها الله خليفة له في الأرض ، وفوض اليها جملة صالحة من حقوق التصرف ، والواجبات ، والتبعات ، وأنعم عليها لأدائها كل ذلك ، جسدا من أحسن الأجساد ، هيئة وتقويما . ."(1) فلا صراع بين هذه الروح ، والله ، ولا خطيئة تحملها ولا عداء بينها وبين الجسد ، فالانسجام تام فيما تركيب الانسان ، والحياة ما هي الا مسيرة لابد من قطعها ، ولكي يتجاوز الصعوبات التي تعترضه ، ويكون ذلك عن طريق تلك الرابطة بين الانسان والله ، والمتمثلة في تلك العلاقة الثنائية من خوف ورجاء (2) فيهون كل شئ عند الانسان في سبيل ارضاء ربه ، وتجنب غضبه .

ـ وابن باديس ، رغم عدم معالجته لهذه المشكلة معالجة نظرية ، وعدم دراستها دراسة تفصيلية ، الا أننا نلاحظ من خلال آثاره ، أنه ما مرت فرصة ، الا واغتنمها ليذكر الناس بضرورة

---

(1) ابو الأعلى المودودي ـ نظام الحياة في الاسلام ـ ص: 65 .

(2) أنظر : محمد علي يوسف ـ الجفوة المفتعله بين العلم والدين ص: 95 ـ 96 .

بضرورة تجديد علاقتهم بالله، بواسطة كل الاساليب الشرعية، من صلاة، وصوم وزكاة وتهجد، ومن آرائه " أن الارواح النورانية الطاهرة السامية لا لذة لها حقيقة في هذا العالم الفاني المادي المحض، وانما لذتها الحقيقية في عالمها العالي "[1] ولهذا فهو يدعوا الانسان الى الاستقامة، والفرار الى الله من فتن الدنيا ومصائبها، لانّه هو الملجأ الوحيد للانسان[2]، كما يدعوا الى الذكر، واستحضار عظمة الله[3]، وحث الناس على التراحم فيما بينهم، طلبا لرحمة الله " عز وجل "[4]. وهذه التوجيهات التربوية والروحية كان ابن باديس يقدمها علما منه أن الجانب الروحي عند الانسان عامة والمسلم خاصة، اذا ما تم تنقيته من الشوائب، وتصفية علاقة العبد بربه، فانه يعطي ثمارا طيبة في حياة الانسان من استقرار واطمئنان، ويخلص الانسان من سلبيات كثيرة، كالخوف، والاضطراب، والقلق، هذه الامور التي كان يعاني منها الانسان الجزائري آنذاك، والتي كانت تحول دون انطلاقه في أيّ مشروع ذاتي.

— لهذا اجتهد ابن باديس لمساعدة الانسان على استعادة نطه الروحي الايماني، ليكون ركيزة ثابتة في شخصيته، ومنطلقا صحيحا في أي عمل تاريخي، حيث يتعلق الانسان بربه، ويسير في طريقه المستقيم، فلا يخشى قوة الاستعمار، ولا امكاناته، وتصبح روح الانسان المسلم قوة خفية تدفع بمشروعه الذاتي نحو التمكين، دون أن يستطيع الاستعمار توقيفه. من هذا نستنتج أنّ ابن باديس حين عمل على

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس .... م1 — ج 2 — ص: 32 .

(2) أنظر : " " " م1 — ج 2 — ص: 97 .

(3) " " " " م1 — ج 1 — ص: 133

(4) " " " " م1 — ج 1 — ص: 245

تصحيح تصور الانسان ،لم يغفل روحه عملا بقاعدة التغيير الاسلامية ، المتمثلة ،في تغيير ما بالنفس ،كشرط لتغيير الواقع الموضوعي ،وبالتالي تحقيق القطيعة مع الاستعمار ،والمساهمة في افشال مشروعه التفسيخي ،الذي لا يمكن أن ينشط الا في مجتمع اختلت عقيدته ، وتخربت روحه .

3 — البعد الأخلاقي :

— تحتل الأخلاق في الاسلام مكانة هامة ،يستنتجها الانسان من تخصيص القرآن لمجموعة آيات متتالية ، للجانب الأخلاقي ، اذ نجد سورة " الاسراء " قد خصصت خمس عشر (15) آية [1] كلها لتوضيح صفات أخلاقية مميزة ، والدعوة اليها ، منها النهي عن الشرك ، والأمر بالاحسان للوالدين ، وايتاء حقوق ذى القربى والمساكين ... [2] وتتكرر هذه الدعوة ، في سورة لقمان . وصح عن عائشة (ض) عندما سئلت عن خلق النبي (ص)، قالت :" كان خلقه القرآن" أى كان سلوكه وفق تعاليم القرآن، وتطبيقا عمليا لها ، وتنبع الحاجة للأخلاق ،بالدرجة الأولى من الشعور الخلقي لدى الانسان الذى هو " شعور فطرى، فطره عليه الخالق تعالى ، فيحمله على حب بعض صفات الانسان وكراهية أخرى." [3]

— فالأخلاق ضرورية للانسان فردا كان أو مجتمعا ،ولا يمكن له أن يحافظ على استمرارية كيانه دون التزام بصفات أخلاقية معينة ، لأن الأخلاق ،هي المعيار الذى يهتدى به الانسان ، في حياته ، وان فقدها ، اختل توازنه ، وحرص ابن باديس كسرى على تطبيق المنهج القرآني ، الذى من صفاته الدعوة

---

(1) أنظر — سورة الاسراء ، الآية — 23 — 38

(2) أنظر — عبد الحي بن فخرالدين الحسيني — تهذيب الأخلاق — ص : 7

(3) أبو الأعلى المودودى — نظام الحياة في الاسلام ... — ص: 15

للالتزام الأخلاقي ، وان تميز تعليمه له ، عن بقية المناهج الأخرى ، من حيث أنه عمل على غرس هذه الصفات الأخلاقية، في نفس الانسان(1) ليبني بها ضميره ، دون أن يحاول فرضها من الخارج ، كضغط ديني أو اجتماعي ، وقد تنبه جيدا لهذه القاعدة ، عندما بدأ في تطبيق مشروعه التربوي الاصلاحي في الواقع ، حيث عمل على بناء السلوك الخلقي في الانسان على أساس فطرته المهيئة لذلك . واعتمد في ذلك على وسائل من داخل دائرة الاسلام ، فهو يستغل كل عيد أو مناسبة ، ليبين للناس صفة أخلاقية معينة، أو يحثهم على التزام صفة أخرى ، مثل ما كان [illegible] [illegible] منه في شرح التضحية بمناسبة عيد الأضحى(2) أوذكر أخلاق النبي (ص) في ذكرى مولده (3) . ولابن باديس أسلوب فعال في بناء الأخلاق عند المربي ، خاصة ، والشعب عامة ، ذلك أنه التزم في دعوته لغة التنكير والتقبيح لصفة ما ، اذا رأى فيها مفسدة للناس، مثل حديثه عن اللغو، اذ يقول : " في الاقبال على اللغو شغل للباطل ، وتكدير للخاطر بظلمته وتضييع للوقت فيه ." (4) ، واذا أراد أن يثبت صفة أخلاقية معينة ، فانه يعمد الى مدحها ، وتحبيبها للناس مثل دعوته المسلم الى ضبط لسانه اذ يقول : " على المسلم أن يضبط لسانه في الجد والهزل وأن يحترس من الكذب في الجليل والحقير." (5).

- أما غاية ابن باديس من وراء جهده التربوي الاخلاقي ،

---

(1) أنظر - رابح تركي - عبد الحميد بن باديس . . . ص 287
(2) أنظر - عمار طالبي - ابن باديس . . . م2 - ج 3 - ص 530
(3) أنظر - " " " " " م2 - ج 3 - ص 511 - 515
(4) " " " " " م1 - ج 1 - ص 486 - 487
(5) " " " " " م1 - ج 2 - ص 287

فكانت رغبة في تخليص أبناء المجتمع الجزائري ، من كثير من الصفات الفاسدة ، من كسل ، وخمول ، وتراخي ، وكذب ، ونفاق ... ، تلك الصفات التي ما انتشرت في أمه الا هدمت صرح حضارتها ، وهو الأمر الذي ينطبق على الأمة الاسلامية ، بعد أن كانت رائدة حضارة أصبحت تئن في درك الاستعمار ، كما حاول ابن باديس بذر الأخلاق الحسنة ، والصفات الحميدة ، بغرض دفع المجتمع الى اعادة بناء ذاته ، بناءا صحيحا ، على أساس أخلاقه الذاتية النابعة من مصدر قوته ، المتمثلة في الاسلام ، وسد الثغرات الأخلاقية الموجودة ، في جسم المجتمع للحيلولة دون تمكنها ، من تعميق الانحراف الأخلاقي الذي كان يريده الاستعمار لتفسيخ المجتمع ، وسهولة السيطرة عليه ، ولهذا فأي عمل مضاد على هذا المستوى انما هو ابطال لأهداف المشروع الاستعماري.

4 — البعد النفسي :

— كثير من الآيات التي تناول فيها القرآن الكريم ، النفس البشرية ، بالتوجيه والارشاد ، أو بالغرجز ، والتوبيخ والتحذير ، وهذا كله يهدف للحفاظ على استقامة هذا الجهاز الحساس المؤثر في حياة الانسان ، ويحدد القرآن ثلاثة أسس للتربية النفسية ، : " وهي العزة ، حب الحق ، والصبر . "[1] وهي أمور ثلاثة ، اذا تم العناية بها ، سلم الجهاز النفسي عند الانسان الى حد بعيد ، من الأمراض النفسية ، وضمن الانسان صحته النفسية التي هي " الشرط أو مجموع الشروط اللازم توفرها حتى يتم التكيف بين المرء ونفسه وكذلك بينه ، وبين العالم الخارجي ، تكيف يؤدي الى أقصى ما يمكن من الكفاية والسعادة لكل من الفرد ، والمجتمع ، الذي ينتمي اليه هذا الفرد "[2]

---

(1) محمد عبد الوهاب فايد — التربية في كتاب الله — ص : 40

(2) عبد العزيز القوصي — أسس الصحة النفسية — ص : 23

ـ وكان ابن باديس في عمله التربوي الاصلاحي ، مدركا لما تمثله الحياة النفسية للانسان ، بالنسبة للأفراد ، والمجتمع وبالرغم من أنه لم يتم باجراء دراسات وبحوث نفسية للانسان - وان كان ذلك هو الواجب والمفروض - لكنه تتبع الواقع النفسي المتردى وفهم الخلل النفسي الذى كان يعيشه الانسان الجزائرى أنذاك ، نتيجة الظروف ، والضغط الاستعمارى والعادات السيئة التي كانت تغذيها الطرقية ، هذا الوضع أكسب الانسان عدم الثقة بنفسه ، في مواجهة واقعه مع العلم أن الثقة بالنفس ، والتوازن النفسي ، ضروريان لنجاح أى مشروع .

ـ لهذا عمد ابن باديس كمرب اسلامي لمعالجة هذا الخلل ، الى دفع حالة الايمان عند الناس ، وربطهم بخالقهم ليزيل من قلوبهم خوف غيرهم من المخلوقات ، وليضع الاستعلاء الايماني بدل الخوف ، والعبودية لأنه كما يقول : " المسلم المتحقق بالاسلام ، المهتدى بهدايته لايكون الا عزيزا رحيما ، فالذلة من المسلم نقص في اسلامه . " [1] . كما عمل على تحبيب الحق للناس ، والحث على اتباعه لانه هو عصمة الانسان من الزلل والاعتصام به ، يكسب الانسان احساسا بالاطمئنان الى عمله ، وخط سيره [2] ، كذا مواظبته على دعوة الانسان الى الصبر ، لعلمه أنه المرحلة الضرورية لنضج الانسان ، من طريق المحن ، والتمحيص ، ولكون مرحلة الصبر ، ضرورية لخوض أى مشروع تغييرى ، مهما كانت أهدافه . بالاضافة الى هذا ركز ابن باديس على دعوة الانسان الجزائرى الى تطهير نفسه والابتعاد عن الكذب ، والتغلب على الوسوسة [3]

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس . . . م 1 — ج 2 — ص 69
(2) " " " " م 1 — ج 1 — ص 345
(3) " " " " م 1 — ج 2 — ص 270 — 172

وكما يرمي من وراء هذا ، الى تخليص الانسان من العوامل الذاتية التي تؤدى الى اختلال توازن حياته النفسية وحسب رأى ابن باديس فان " النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال ، تنبعث بقوة ، ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب وعندما تشعر بحقارتها وعجزها ، تقعد عن العمل ، وترجع الى أحط دركات السقوط " (1) ، وبالتالي فان الثقة بالنفس هي النتيجة التي كان يريدها ، ابن باديس من وراء مشروعه التربوى ، ليخلص الانسان الجزائرى الذى أصبح يؤمن بعجزه عن أى أداء حضارى ، خاصة فيما يخلصه من حالته المتدهورة التي زادت سوءا مع مجيء الاستعمار الفرنسي ، الذى حاول بكل الوسائل القضاء على عزة الانسان ، في الجزائر .

— لهذا كان مشروع ابن باديس ، ثورة على الوضع النفسي الانهزامي الذى ورثه الانسان الجزائرى ، عبر قرون التخلف والانحدار ، وهو كذلك مواجهة للمشروع الاستعمارى ، الرامي الى تدمير البنية النفسية الصحيحة للانسان والمجتمع الجزائرى .

5 — البعد الاجتماعي :

— المجتمع اطار ضخم ومعقد لنشاط الانسان في الماضي والحاضر ، وآماله في المستقبل . وبقاء المجتمع مرتبط في الاساس باستمرار هذا الانسان ، لكن هذا النشاط الذى هو في حقيقته حركة اجتماعيةغير فردية ، مشروط بوجود شبكة العلاقات الاجتماعية التي يتم عن طريقها ، نشأة المجتمع وتغيره ، وتطوره ، ولهذا نجد أن أول عمل يؤديه مجتمع معين ،

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج 2 — ص : 168

في طريق تغيير نفسه ، مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات."[1]. واذا تأملنا المجتمع الاسلامي الأول ، فاننا نجد النبي (ص) ، قد حرص كثيرا على تكوين هذه الشبكة تمثل ، ذلك في البيعات التي أقاموها بينه وبين أصحابه وكذا المؤاخاة والعقود التي أبرمها بين الصحابة كما نجد أن " منهج القرآن منهج جماعي ، يهدف الى تكوين جماعة متميزة تحمل مبادئه ، وتعمل على تبليغها ." [2] كل هذا مهد لاندفاع ذلك المجتمع اندفاعة قوية ، في حركته التاريخية، نحو التمكين . والاسلام ذاته أرسى مجموعة من القواعد والوسائل التي عن طريقها يحافظ على سلامة العلاقات الاجتماعية ، منها رابطة الدين المقدسة ، التي لاتضاهيها رابطة أخرى .[3] اذ أن اعتقاد الناس في الاسلام ، وايمانهم به عروة وثقى تشد بعضهم الى بعض ، وكذلك الأخوة الاسلامية[4] التي هي واجب ديني على أفراد المجتمع الاسلامي، تعمل باستمرار على تجديد الطاقة المعنوية للعمل الاجتماعي ، بالاضافة الى هذا أسس الاسلام مايسمى بالتكافل الاجتماعي الذى يهدف الى " أن تكون كل القوى الانسانية في المجتمع متلاقية في الحفاظ على مصالح الآحاد ، ودفع الأضرار." [5]، ويعتبر العدل والمساواة بمفهومهما الاسلامي المتكامل ، وغيرها من مقومات وقواعد الاجتماع في الاسلام .

— وابن باديس الذى اختار المنهج الاسلامي لمشروعه التربوى . لم يهمل هذا الجانب الحساس من العمل الاصلاحي

---

(1) مالك بن نبي — ميلاد مجتمع . . . — ص : 25
(2) محمد شديد — منهج التربية في القرآن — ص : 265
(3) أنظر — طاهر بن عاشور — أصول النظام الاجتماعي في الاسلام . ص: 108
(4) أنظر — " " " " ص : 120
(5) محمد أبو زهرة — في المجتمع الاسلامي — ص : 4

بل انه يؤمن ايمانا قويا ،بدور الجانب الاجتماعي اذ يقول في هذا : " انما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ، اذا كانت لهم قوة ، وانما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة منظمة، تفكر ، وتدبر وتتشاور وتتآزر ، وتنهض لجلب المصلحة ، ودفع المضرة "(1) ، ولما كان ابن باديس كثير الاحتكاك بالواقع فانه أدرك سوء الجانب الاجتماعي ،خاصة شبكة العلاقات الاجتماعية ، وتدهور حالته لأسباب مختلفة ،منها ما يمت لعيوب في المجتمع الجزائري ،ومنها ما أدخله الاستعمار ،لهذا عندما عمد ابن باديس الى تنفيذ ~~الاطلا~~ مشروعه التربوي ،حاول من ناحية تجديد شبكة العلاقات الاجتماعية (2) ،وهذا استدعى عملا على مستوى الفرد وآخر على مستوى المجتمع ، اذ نجده عمل على غرس القيم الاسلامية الاجتماعية لدى المربى من خلال دعوته ،وحثه على التفكير في مجتمعه ، ومساعدته على حل مشاكله ،ويقول في هذا الصدد : " لنجعل المصلحة العامة غايتنا ،والمقدمة عندنا ، حتى لا يكون ان شاء الله من مصالحنا الخاصة ما يصرفنا أو يشغلنا عنها ".(3)

— وكان ابن باديس دائما يلجأ الى ضمير الانسان ليحركه ،ويوجهه نحو القيام بالأعمال الايجابية نحو المجتمع من أضيق دائرة الى أوسعها ، اذ حث الابن على الرفق بوالديه والتواصي بهما (4). واهتم بشؤون المرأة لعلمه بعظمة دورها الاجتماعي ودعا الاولياء الى تعليم بناتهن ، وتثقيف ازواجهن ،بل وفتح أبواب معاهده التربوية لتدريس المرأة

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج1 — ص: 270 .
(2) أنظر Ali merad - Ibn Badis commentateur du coran, P494-497
(3) عمار طالبي — ابن باديس ...م1 — ج 1 — ص 270 .
(4) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس..م1ج 1 — ص. 229 .

بدون مقابل ، تشجيعا لهما على طلب العلم[1]، وكان كل ذلك اهتماما بالاسرة ، وبدورها الاساسي ،في المجتمع بالاضافة الى هذا عمل على تطوير علاقات الناس بين بعضهم البعض ، فدعا الى التآلف والتآخي بين العناصر المتعددة للمجتمع الجزائري ، خاصة بين الامازيغ والعرب ، وكذا بين المذاهب المختلفة[2] لانه كان يرى ، " الاتحاد واجب أكيد محتم علينا ، مع جميع المؤمنين ، وان فيه قوتنا وحياتنا ، وفي تركه ضعفنا وموتنا ."[3]

— وبهذا الجهد في المجال الاجتماعي ، الذي ظل ابن باديس طوال حياته مركزا عليه كي يمكن الانسان الجزائري من استعادة دوره الاجتماعي الفعال ، ليخرجه من وضعه السلبي ، ومن حالة الانقسام الذي ، التي كان يعيشه آنذاك المجتمع ، هذا الانقسام الذي كرسته الطرقية ، بواسطة نظرتها ، ومقولاتها المتمحورة حول ربط كل شئ بالقضاء والقدر ، وتشجيع التقوقع حول المصلحة الذاتية الضيقة ، هذه الاغراض المنافية لروح الحضارة التي كرس ابن باديس جهده التربوي لاجتثاثها فغرس بدل المصلحة الذاتية ، المصلحة العامة ، واستبدل الفردانية بالاخوة ، والتكافل الاجتماعي[4]، وتجسدت نتيجة هذا الجهد في اعادة نشاط شبكة العلاقات الاجتماعية ، من خلال التفاعل الذي ظهر بين الشعب الجزائري ، وبين المشروع الاصلاحي .

— أما في مواجهة الاستعمار ، فان تركيز ابن باديس ، على معالجة الجانب الاجتماعي ، ساهم في افشال المخطط

---

(1) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج 1 . ص: 467/469 .
(2) عـ " — عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص: 502 — 504 .
(3) " — عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج2 — ص : 157 .
(4) Ali merad - Ibn Badis.... p- 194-196 "

الاستعماري الذي تطرقنا اليه في الفصول السابقة ، وكانت غايته تفسيخ المجتمع الجزائري ، للتمكن من السيطرة عليه ، واخضاعه اخضاعا مطلقا ، وذلك بضرب شبكة العلاقات الاجتماعية .

6 — البعد الفكري :

— من الأمور التي يلاحظها الانسان دون عناء في القرآن الكريم ، هو كثرة توارد الآيات التي تخاطب العقل ، وتنوه به ، مثل قوله تعالى :" كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون"(1)، وقوله " ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون"(2) ، وبالرغم من سيادة الاعتقادات بأن الدين عامة ، لا يتفق مع العقل ، الا أن الاسلام يختلف في هذا عن الديانات الأخرى، لكون " العقل الذي يخاطبه الاسلام ، هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأمور ، ويوازن الأضداد ، ويتبصر ويتدبر ويحسن الادكار والرواية ..."(3).

— وابن باديس العربي ، يحترم العقل كثيرا ويؤمن بدوره الفعال الذي يتجلى في الجهد المبذول طوال حياته التربوية ، من أجل تحرير عقل وفكر الانسان الجزائري ، هذا الجزء الحساس من الشخصية الذي تتوقف عليه حياة الانسان ومكانة المجتمع بين المجتمعات ، وتكمن قوة الانسان في عصرنا هذا في جهده العقلي ، وفي قيمته وفعالية فكرة ، لذا نرى أن ابن باديس ، كرس جهده التربوي لهذه الغاية ، سواء من خلال دروسه في الميدان ، أو من خلال مقالاته . ومن

---

(1) سورة الروم — الآية — 28 .
(2) سورة يوسف — الآية — 109 .
(3) عباس محمود العقاد — التفكير فريضة اسلامية — ص: 18 .

قوله في هذا المجال أن " الحكمة هي العلم الصحيح الثابت ، المثمر للعمل المتقن ." [1] ، وأن " لاحياة الا بالعلم" [2] ، وهو يدرك معنى هذه المقولات جيدا ، لانه انسان كانت نظرته عالمية عرف ما للفكر ، والعلم ، من دور فعال في حياة الحضارات سواء القديمة منها ، أو الحديثة ، كالحضارة الغربية التي كانت تقدس العقل والعلم .

— وقد اجتهد ابن باديس لفتح أفاق العلم عند الانسان الجزائري واسعا ، دون أن ينسى التصور الاسلامي للعلم ، وهي نظرة جد متطورة ، نكتشفها من خلال قوله " فأرجوا أيها الشبان الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان ، ومن أي شخص وجد تموه ، وأن تطبعوه بطابعنا ، لتحقيق به الانتفاع المطلوب ، كما أخذه الاوروباويون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني ، وانتفعوا به ." [3] ، وما طرحه ابن باديس هنا وحول أسلمة العلوم ، لا يزال اشكالا مطروحا على المجتمع الاسلامي الى يومنا هذا .

— أما اذا بحثنا عن غايته من وراء تركيزه على الجانب الفكري ، فنجدها تنحصر في أهمية هذا الأخير ، في حياة الانسان عامة ، كما ذكرناها ، ثم لاهمية تحريك الجانب الفكري لدى الانسان الجزائري ، الذي كان عقله قد فقد ميزة النشاط وبذل الجهد منذ زمن بعيد ، تحت تأثير رجال الطرقية العاملين بقاعدة " اعتقد ولا تنتقد ". هؤلاء الذين حاربهم ابن باديس حربا شعواء ، لانهم كانوا اكبر ثغرة في جسم المجتمع . [4] ، بمباركة الاستعمار ، لانّ الوضع المذكور

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج1 . ص : 183 .
(2) " " " م1 — ج1 . ص : 346 .
(3) " " " م2 — ج 4 . ص : 340 .
(4) أنظر : عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص : 178 .

كان في خدمة مشروعه الاستقلالي للمجتمع الجزائري
ونشير الى أن المفكر المجتهد ،وحسب السيطرة عليه ،لذا ركز
ابن باديس نشاطه التربوي على اعادة بناء هذه الوظيفة
الحيوية للعقل ،فالانسان اذا غير الضعف الموجود في عقله ،
وفكره فانه يضمن قطعا ،أنه لن يكون للاستعمار تأثير كبير ،
وبالتالي يكون الرد عليه ردّ ايجابيا وفعالا .

7 ـ البعد السياسي :

ـ كانت علاقة الانسان بالسياسة ،ولا تزال من أخطر
العلاقات ،لما تتميز به السياسة من قدرة على توجيه جهد
الانسان ،أينما شاء أصحابها ،وكثيرا من المشاكل التي عاناها
الانسان ،كانت نتيجة الخلل الذي يطرأ عادة على هذا
الجانب من حياته . أما السياسة في الاسلام فهي عكس هذا
كليا اذ أنها وسيلة مسخرة لخدمة المبدأ ،لان مبدأها الاساسي
الذي ارتكزت عليه ،هو أن جميع ... سلطات الأمر ،والتشريع
هي " لله "(1).

ـ وكان الاسلام في الجزائر دائما بالنسبة للشعب
هو المبدأ ، وهو الهدف ،والدرع الواقي لشخصية الأمة من هجمات
أعدائها ، خاصة الهجمة الاستعمارية الاخيرة ، المركزة ،وكان
ابن باديس يعي جيدا هذه الحقيقة ، لذا التزم الاسلام
في كل شيء ،بما فيه السياسة فكان عمله التربوي السياسي
على مستويين : مستوى نظري ، حيث عمد الى شرح النظرية
السياسية الاسلامية بكل تفاصيلها ، ونجد ذلك مفصلا في
مقالاته ، مثلا عندما تعرض لخطبة " ابي بكر الصديق (ض) " بعد
توليه الخلافة ، قام بتحليل أصول الحكم في الاسلام ،فتطرق

---

(1) أنظر ـ أبو الأعلى المودودي ـ نظرية الاسلام السياسية ـ ص : 31

الى حق الأمة في توليه حاكمها ، وكفاءة الحاكم ، وحق الأمة في مراقبته ...[1] ، ولما قمنا بمقابلة كلامه هذا بما كتبه المختصون ، وجدناه لا يتعارض معه ، ويتفقان في الكثير من الأمور[2] . وأيضا عندما تناول سورة "الملك "بالتفسير[3] حيث تطرق الى أخلاق الحكم الاسلامي ، بالتفصيل ، كما تطرق الى أمور أخرى مثل الشورى ، والمصلحة العامة ، وغيرها ...

— أما على مستوى الواقع والحياة اليومية ، فقد حاول ابن باديس ، تحديد المفاهيم السياسية التي هي جزء من هوية كل أمة ، من خلال حديثه عن الانتماء الإسلامي فقال أن " الوطنية الاسلامية العادلة ... هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها ، وتحترم الانسانية ، في جميع أجناسها وديانها . "[4] ، كما تحدث عن الانتماء العربي ، للمجتمع الجزائري ، وتحدث عن الجزائر كوطن مستقل ، حين قال :" ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ، ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ، ولو أرادت . "[5] . وحارب خطة التجنس ، ومقولات المتجنسين .

— ولقد كان لابن باديس أسلوبه السياسي الخاص ، المتمثل في النقد الذكي ، الذي يردون اشارة حزازات مع الاستعمار ، والطرقية ، أو الأطراف السياسية الأخرى ، وبالرغم من أن الكثير ، قد انتقده على هذا الأسلوب ، لانه يؤدي الى تمييع المفاهيم في عقلية الانسان الجزائري ، بدل تثبيتها ، الا أن الواقع

---

(1) أنظر : عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص: 401 — 405 .

(2) " عبد المتعال الصعيدي — السياسة الاسلامية ... ص: 5 — 7 .

(3) " عمار طالبي ـ ابن باديس ... م1 — ج 2 — ص : 10 — 12 .

(4) عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص : 368 .

(5) " " " م2 — ج 3 — ص : 383 .

الجزائري آنذاك ، أجبر ابن باديس على ذلك ، حفاظا على مشروعه التربوي الاصلاحي ، بفضل استخدام ، أسلوب عدم المواجهة العلنية ، واللجوء الى التمويه .(1)

ـ أما عن الهدف الذي كان يرجوه من وراء التربية السياسية ، فهو تحقيق ، القطيعة مع المفاهيم السياسية الاستعمارية، في اذهان الشعب الجزائري ، خاصة الناشئة . هذه القطيعة هي الضمان الوحيد لنجاح المشروع الاصلاحي ، ومن أجل التمكن من ذلك ، كان على ابن باديس ، تقديم البديل النظري السياسي كما ورد سابقا ، وبالتالي تحسيس الانسان الجزائري بتميزه ، وبتعارضه مع النموذج السياسي الاستعماري ، حتى يشرع هذا الانسان في العمل على تحقيق نموذجه السياسي الخاص ، والتخلص من النموذج الاستعماري ، أي يتخلص من قابلية الاستعمار ، ليجد في نفسه القوة والحاجة للتخلص من الاستعمار .

3 ـ البعد الاقتصادي :

ـ بالرغم من بعد ابن باديس عن ميدان الاقتصاد ، الا أنه لم يهمله كليا ، بل قام بارشاد الناس الى القواعد الاقتصادية الاسلامية السليمة ، بغرض دفعهم الى التخلص من تلك العادات السيئة ، في الاستهلاك والتراخي ، في الانتاج ، فهو يقول في قضية الانفاق :

" أنه بالعمل بآية الانفاق ينتظم أمر العباد في معاشهم وكذلك بالايمان بهذه العقيدة تزول حيرتهم وتطمئن قلوبهم فيما يرونه من أحوال الرزق في أنفسهم وفي غيرهم . " (2)

(1) أنظر : حسن عبد الرحمن سلوادي ـ عبد الحميد ابن باديس . . . ص: 208 .
(2) عمار طالبي ـ ابن باديس . . . م 1 ـ ج 2 ـ ص: 250 .

ونهى أيضا عن التبذير والانفاق غير المعقول في الولائم[1] مع العوز الشديد التي تعاني منه الأمة، وفي احدى نصائحه للمسلم الجزائري يقول: "حافظ على مالك، فهو قوام أعمالك، فأسلك كل سبيل مشروع لتحصيله، وتنميته واطرق كل باب خيري لبذل له "[2].

— كما اهتم ابن باديس بالجانب الاقتصادي في الواقع وذلك بحض الناس وتعويدهم على العطاء المنتظم، لصالح المشاريع الاجتماعية، والتربوية، وكان يهدف من وراء هذا الى اعادة تربية التعامل الاقتصادي داخل الأمة، وتحويله من الاستثمار مالي الى استثمار اجتماعي أي النظر الى نتيجة تفاعل المال مع ارادة الانسان، وجهده، وهذه نظرة جد متطورة في الاقتصاد، يتمكن بها أي مجتمع من تحقيق أهدافه ومشاريعه التي يطمح اليها.

9 — البعد البيداغوجي :

— نتناول الجانب البيداغوجي من المشروع التربوي الاصلاحي لابن باديس في علاقته بالواقع الجزائري، والمشروع الاستعماري، ويلخص ابن باديس هذا الاطار في قوله: " ولن يصلح التعليم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله، وموضوعه، في مادته وصورته."[3] لكن هذا الموقف المبدئي لا يوضح الجانب البيداغوجي من هذا المشروع الا بتحليل أكثر، وقد قدم " مالك بن نبي " تحليلا لأحد

---

(1) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس... م1 — ج 2 — ص : 466

(2) عمار طالبي — ابن باديس... م2 — ج 3 — ص : 178

(3) " " " ... م2 — ج 3 — ص : 217

دروس ابن باديس[1] أبرز فيه غنى العملية التعليمية لديه، خاصة من ناحية تنوع المواضيع التي تطرق اليها، وكذا تعدد الأهداف، والغايات التي يصبوا الى بلوغها.

— ففيما يخص المتعلم نجد أن ابن باديس في أحد مقالاته، قدم مجموعة من الشروط الضرورية للمتعلم منها " الوعي الصحيح للعلم، والتمسك بآداب التعلم، المتمثلة في الحلم، وفي الابتعاد عن الغرور، لأنه مفسد للتعلم "[2] وقدم لهذه الشروط شرحا علميا، لايختلف عن تفسيرات البيداغوجيين في عصرنا الحاضر[3]، ويمكن أن نعتبر هذه الاستنتاجات العلمية لتصور ابن باديس للتعلم، كرسالة للمتعلم، وليست مجرد اكتساب معلومات ومن ناحية ثانية، لضرورة التعلم للانسان الجزائري في وضعه الاستعماري آنذاك أما عن المعلم فحياة ابن باديس التعليمية، فيها الكثير من الدلائل العلمية التربوية[4]، على معايشته الصحيحة، لواقع الطلبة والتلاميذ، حيث كان بمثابة الأب في رعايته وعطفه عليهم.

— أما عن المنهج والمحتوى التعليمي، فان " ابن باديس لايختلف تصوره للمنهج، عما تنادى به التربية الحديثة. "[5]، وقد كان ثائرا على المنهج التقليدى الذى كان سائدا في التعليم الاسلامي آنذاك وأحسن مايوضح لنا ذلك هو الدراسة النقدية التي قام بها لمنهج الدراسة المطبق في جامع الزيتونة، والبديل الذى قدمه له[6]. وفيما

---

(1) أنظر: عمار طالبي - ابن باديس... م1 — ج 1 — (المقدمة)
(2) عمار طالبي — ابن باديس ... م1 — ج 1 — ص: 346 — 348
(3) أنظر — حنا غالب — التربية المتجددة وأركانها — ص: 363 — 364
(4) أنظر — عبد الرحمن بن لسونة — أضواء على التربية والتدريس — ص: 18 — 21
(5) رابح تركي — عبد الحميد بن باديس ... ص: 307
(6) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص 181 — 183

يخص محتوى التعلم الذي أشرف عليه ابن باديس، فكان جله اسلاميا، أي ذا طابع ديني لغوي، مع بعض العلوم الفنية الأخرى، كالجغرافيا، والتاريخ، والحساب [1].

— وبهذا العرض البسيط، نستنتج أن ابن باديس لم يهمل الجانب البيداغوجي، حيث حاول تلافي السلبيات التي كان يعانيها التعليم الاسلامي، آنذاك بل تجاوزه الى حد نقدها، ومحاولة طرح البديل لها. لكن رغم هذا، فان الجانب البيداغوجي من المشروع التربوي الباديسي عانى من بعض السلبيات، التي أثرت عليه، فيما بعد، مثلا قول ابن باديس أن صلاحية التعليم لا تكون " الا اذا رجعنا به للتعلم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته " [2] ان الالتزام الصحيح في رأينا هو الالتزام بجوهر التعلم النبوي من ناحية المبدأ والهدف، وأخلاقيات عملية التعلم، أما عن الالتزام بالشكل فهذا جمود، وتعطيل لإرادة الانسان، وقد تفطن " مالك بن نبي " لهذه القضية، حيث قال :" أما التعليم الحر في العالم الاسلامي، فان مناهجه وطرقه يبدوا انها تتحدى الزمن ... كما حدث بالجزائر، حيث أدخل الكرسي، والنضد الى المدارس الحرة، ولم يحلموا أن هذه ان كانت خطوة أولى، فان من السذاجة الاكتفاء بها ..." [3].

10 — أبعاد أخرى للمشروع الباديسي :

— توجد بعض الجوانب الأخرى التي اعتنى بها ابن باديس غير التي ذكرناها، وسوف نقتصر على ذكرها والتعليق عليها،

---

(1) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3 — ص: 229 .
(2) عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 3: ص: 217 .
(3) مالك بن نبي — وجهة العالم الاسلامي — ص: 53 .

دون توسع في ذلك ، وهذا راجع الى عدم تركيز ابن باديس عليها ، أو عدم اهميتها الكبيرة بالنسبة للمشروع ، ومنها :

1 — البعد التاريخي :

وأغلب كلام ابن باديس في التاريخ ، عبارة عن كتابات في السير ، وحول حياة الشخصيات أو الاقوام مثل كتابته عن الصحابة ، أو ترجمته لابي بكر بن العربي[1]، وتعرضه لبعض شخصيات العصر الحديث ، أمثال :" الشيخ طاهر الجزائري " و" محمد رشيد رضا "[2] وغيرهما ... وهناك بعض الكتابات التاريخية ، مثل مقالته حول الجذور التاريخية للحرب[3]. وكان يقصد بهذه الكتابات الغاية التثقيفية للعرب ثم كذلك تجذير انتماء الانسان الجزائري لتاريخ أمته الاسلامية وهذا لكي يبعث فيه الثقة بنفسه ، كانسان صاحب حضارة وأمجاد ، وامتداد تاريخي ، ومن ناحية ثانية لكي يبطل سموم المشروع الاستعماري ، التي كانت ترسخ في عقلية الجزائري وخاصة الاطفال ، أن بلاده هي " غاليا " وأن أجداده هم " الغاليون "، وهذا لكي تفصله عن جذوره التاريخية فيسهل مسخه وتفتيت كيانه الاجتماعي .

2 — البعد الصحي :

وقد أعطى ابن باديس بعض النصائح الجادة في هذا الميدان احساسا منه أن صحة جسم الانسان لا تقل أهمية عن صحة عقله ، وأخلاقه فقد كان يوجه على صفحات جرائده بعض النصائح للمحافظة على صحة البدن ، وسلامته ، اذ يقول

---

(1) أنظر — عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج 4 ، ص: 132 — 138 .
(2) " " " " " م2 — ج 4 ، ص: 195 — 212 .
(3) " " " " " م2 — ج 4 . ص: 59 — 79 .

في احداهما ناصحا الانسان الجزائري : " حافظ على صحتك ، فهي أساس سعادتك ، وشرط قيامك بالاعمال النافعة لنفسك ولغيرك "(1) ، وبالتالي فهدف ابن باديس هو أن يكون الانسان الجزائري صحيح الجسم ، متكامل الشخصية ، لا يعاني العاهات والأمراض ، فيكون عنصرا نافعا في مجتمعه ، لا يحس بالذلة أمام احتقار المستعمر لوسخه أو لسوء حالته .

3 — البعد التشريعي :

تعرض ابن باديس للجانب التشريعي نظريا ، من خلال تدريسه التشريع الاسلامي لطلابه ، وهذا يتبين من خلال الكتب التي كانت تدرس مثل (الموطئ ، ورسالة ابن عاشر) أما عمليا فقد اكتفى بفتح ركن للأسئلة الفقهية ، في جريدة الشهاب ، ليطرح المواطنون تساؤلاتهم ، وليتولى هو الرد عليها ، مثل ما حدث في قضية كراء الأسواق ، وامامة الصلاة (2) وتحليله المطول لقضية الصلاة على النبي (ص) (3) وكان هدف ابن باديس من وراء تطرقه للأمور التشريعية ، اعادة فتح باب التشريع الاسلامي للمجتمع ، وهذا لتسهيل نشاط المجتمع ، وتحريفه بالحدود الشرعية ، وفي نفس الوقت ، التخفيف عليه من ضغط القوانين الاستعمارية المعقدة ، التي لا تتلائم مع التركيبة العقائدية والنفسية للانسان الجزائري .

---

(1) عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج3 — ص: 177 .
(2) أنظر عمار طالبي — ابن باديس ... م2 — ج4 — ص: 411 — 412 .
(3) " " " " " م2 — ج4 — ص: 375 — 407 .

3 ـ 4 : خاتمـــة :

ـ لقد كان هذا الفصل الأخير ،من خلال التحليلات التي تخللته تتويجا للفصول السابقة من ناحية ،وهدفنا من ناحية أخرى ،اذ كانت الفصول الأولى بحثا متدرجا عن أصول الاشكال التربوي ، في المرحلة الاستعمارية للجزائر ،من حيث محاولة الكشف عن جذور المشروع الاستعماري ،ووسائله وأهدافه وفي نفس الوقت ،لكشف المبررات التاريخية للمشروع التربوي الاصلاحي الباديسي ، ومنها فان التحليل الذي ورد في هذا الفصل الأخير ،هو اجابة على الاسئلة التي طرحتها الاشكالية ،فيما يخص ،ماهية الرد في المشروع الباديسي ،على التحدي الذي تقدم به المشروع الاستعماري ،خاصة جانبه التربوي ،للمجتمع الجزائري كمجتمع تاريخي ذي حضارة عريقة ، لهذا كان المشروع الباديسي ،هو الرد التاريخي على تحدي المشروع الاستعماري ،الفرنسي الغربي .

— الخــــــاتمـــة —

— تتــاول بحثنــا هــذا ، المشــروع التربــوى الاصـلاحـي لابـن باديــس ، كـرد تاريخـي علـى تحـدى المشـروع الاستعمـارى ، وبالرغم مـن أن البحـث ليس الأول الـذى درس ابـن باديـس ، لكنــه ربمـا الأول مـن حيـث طـريقـة المعـالجـة المتمثلـة فـي الجمـع بين العمـل التربـوى لابـن باديـس ، ومبـرر وجـوده الأسـاسي أى المشروع الاستعمـارى ، وهـذا فـي مرحلـة تاريخيـة معينـة . طـريقـة التناول هـذه كشـفت لنـا عـن بعـض الحقـائق ، التـي هـي فـي نفـس الـوقـت خـلاصـة عملنـا هـذا ، ومنهـا :

— أن الاستعمـار الفرنسـي فـي الجـزائر ، لـم يكشـف منـه لحـد الآن الا بعـض المظـاهـر السطحيـة ، أمـا حقيقتـه و آثـاره علـى المجتمـع الجـزائرى ، فـلا تـزال غامضـة ، والـدليـل علـى ذلـك ، أن جـل الكتـابـات ، التـي أنجـزت حـول الاستعمـار ، تتحدث عـن الجـانب العسكـرى فقـط ، وان أشـارت الـى الجـوانب الأخـرى فانهـا لـم تركـز علـى دراستهـا علميـا ، ولهـذا فان تنـاولنـا للاستعمـار كنظـام متكـامـل الأغـراض ، ثـم التركيـز علـى جـانـب التحـدى ، الـذى كـان يمثلـه هـذا الاستعمـار ، للمجتمـع الجـزائـرى كشـف لنـا أن الاستعمـار ، عبـارة عـن مشـروع منظـم متنـاسـق ، مبني علـى أسـس غربيـة ، ويحمـل خصـائـص المجتمـع الفـرنسـي الغـربـي وأن وضـع هـذا المشـروع علـى أرض الجـزائر ، قـد كـان لـه آثـار كبيـرة لابـد مـن معـالجتهـا فـي دراسـات علميـة متخصصـة تتنـاول جـوانبـه الثقـافيـة والنفسيـة والاجتماعيـة و الاقتصـاديـة .. هـذه الآثـار ، الـذى لايـزال المجتمـع الجـزائـرى يعـانـي منهـا الـى اليـوم ، متمثـلاً فـي مـؤسسـات ورثـت الاستعمـار وواصلـت تطبيـق مشـروعـه فـي الجـزائـر ، سـواء فـي المجـال الثقـافـي (الخـط الفـرنكـوفـوني) ، أو فـي المجـال الاداري (الجهاز البيروقراطي)

أو في المجال السياسي (الممارسة السياسية لمؤسسات الدولة)

وبناء على ذلك نخلص الى القول أن المشروع الاستعمارى كان ، ولا يزال تحديا تاريخيا للمجتمع الجزائرى ، في أشكال وأدوار مختلفة ، لكن بنفس المحتوى ، وفي نفس الميدان ، وهو ميدان الصراع الحضارى ، ولهذا ، فالموقف التاريخي الصحيح ، للمجتمع والانسان الجزائرى هو موقف الرد التاريخي ، على هذا التحدى ، ومواجهته بكل الوسائل .

— أما الحقيقة الثانية ، فهي تتعلق بالمشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس الذى كان في جميع مقوماته ، وخصائصه ردا تاريخيا على تحدى المشروع الاستعمارى ، فمن ناحية الموقع التاريخي ، نجد أن باديس قد باشر مشروعه التربوى ، حين استقر الوضع السياسي للاستعمار في الجزائر ، بعد اخماده للثورات المسلحة ، وآخرها ثورة 1871 ، وحين بدأت خميرة المشروع الاستعمارى تتفاعل في ذهن المجتمع الجزائرى ، هذا الأخير الذى أصبح آنذاك يواجه خطرا على ذاته وهويته ، بعد أن بلغ الشعب الجزائرى حافة الهاوية الذى ان لم يتم انقاذه منها ، تفسخ وانتهى أمره وهذا بفضل تربع الجهل على عقول الناس تحت رعاية الطرقية الضالة ، التي أصبحت تدفع الناس حيثما يريد الاستعمار ، وبظهور الفئات المتعلمة في المدارس الاستعمارية ، التي بدأ نشاطها السياسي والثقافي ، وهو خط مهما تكن سلامة نية أصحابه فهو لا يخلو من خطر على أصالة الأمة وانتمائها .
كما بدأ المشروع الباديسي ، في الوقت الذى فشلت فيه الثورات المسلحة منذ 1830 الى نهاية القرن التاسع عشر (19) وحشر الشعب الجزائرى في مأزق ، نهايته الفناء والاندثار

لكيانه ، المجرد من القدرة على المقاومة ، هذا في الوضع الذى تدهور فيه وضع العالم الاسلامي وسقط المغرب الاسلامي كله تحت نفوذ المشروع الاستعمارى الغربي (تونس 1881 ، ليبيا 1911 ، والمغرب 1912) بالاضافة للقضاء على الخلافة العثمانية ، ومجمل القول أن المرحلة التاريخية ، التي بدأ فيها المشروع الباديسي ، هي مرحلة التأزم بالنسبة للمجتمع الجزائرى ، ومرحلة القوة بالنسبة للمشروع الاستعمارى .

- بالاضافة الى ذلك نستنتج أن ابن باديس قد اختار مواجهة المشروع الاستعمارى منذ اختياره خط التغيير الاسلامي عن طريق منهجية المدرسة الاصلاحية السلفية ، وبذلك أعلن القطيعة ، مع الطروحات الاستعمارية ، وعمل على اعادة بناء المجتمع الجزائرى انطلاقا من جذوره وأصوله التاريخية ، وعيا منه لمنطقية التسلسل التاريخي لهذا المجتمع ، وأيضا للتحدى الاستعمارى ، وأهدافه التفسيخية ثم أن اختاره لوسائل تنفيذ المشروع ، تعبر عن ادراكه الجيد لمعطيات الواقع ، سواء من ناحية أصالة هذه الوسائل أو من ناحية فعاليتها أو من حيث توفرها كامكانيات قصوى ، بقيت ملكا للمجتمع الجزائرى ، خارج دائرة الهيمنة الاستعمارية ، خاصة المسجد أما فيما يخص أهداف المشروع ، فلم تكن آنية ، وان كانت هناك بعض الأهداف الجزئية التي كانت تبدوا للعيان ، مثل نشر العلم ، وتطهير معتقدات الناس واصلاح أخلاقهم ، لكن غايته الأساسية هي اعادة الحركة التاريخية للمجتمع الجزائرى ليعيد بناء ذاته ، ويتمكن من التخلص من القبضة الاستعمارية ، وهذه الغاية لم تكن ممكنة الا بالعمل على مستويين هما : القضاء على قابلية الاستعمار لدى الانسان الجزائرى ، وذلك بالتخلص من كل السلبيات التي تشده نحو التخلف وأولها الأمية والجهل ، وهذا ليتمكن من القضاء على

الاستعمار وافشال مشروعه .

— كما نسجل أن المشروع التربوى الاصلاحي لابن باديس وجد في مرحلة ، تأجج فيها الصراع الحضارى بين الأمة الاسلامية عامة ، والجزائر خاصة ، وبين المشروع الغربي عامة والمشروع الاستعمارى خاصة ، وهذا ما أكسب المشروع الباديسي غنا ثقافيا وسياسيا ، وتربويا ، لايزال الى حد الآن مجهولا ، لانه درس في غير بيئته التاريخية ، وبمنظور غير منظوره الذاتي الأصلي . وهذا ما جعل الدراسات حول الموضوع تتميز بالحياد السلبي ، وتكون عبارة عن شهادات من غير شوبية ، الأمر الذى أبقى المشروع الباديسي ، مجالا بكرا ، وخصبا للدراسة ، بحيث يمكن لكل مبحث من دراستنا أن يتطور الى بحث علمي جديد .

— أما عن هدف بحثنا ، الذى كان منذ البداية خدمة حاضر هذا المجتمع ايمانا ، بأن أى جهد يبذل لكشف حقيقة ذلك الماضي ، يكون عبارة عن انارة لهذا الحاضر والمستقبل ، وأن دراستنا لتجربة مهمة من حياة المجتمع الجزائرى الحديث ، عمرها (29)سنة ، ليست من باب الاستيلاب نحو الماضي ، وانما هي أنصاف لدور هذا الماضي ، وأثره في بناء الحاضر ، وفي هذا المجال استخلصنا محاولة ابن باديس في المجال التربوى ، هي احياء للنموذج التربوى الأصلي ، بغض النظر عن نتائجها ، لأن هذه المحاولة هي الخط السليم الواجب السير فيه اليوم ، بدل الخضوع للنموذج التربوى الغربي ، الذى أنشأته فرنسا في الجزائر ، والذى لايزال الى حد اليوم مخلصا لمؤسسيه ، الأمر الذى أدخل البلاد في وضع اشكال تربوى ، تمثل في الخلل الذى يعانيه المتخرجون . واشكال ازدواجية الثقافة المنعكس على الساحة الثقافية ،

والمتمثل في أكثر من تيار، منها الأصيل الذاتي، ومنها الدخيل المتغرب. واشكال تكنولوجي تجسد في أسلوب العمل الذى قزم طاقة الانسان الجزائري بدل تنميتها، لدفع التطور الحضاري للمجتمع. والواجب اليوم احداث التغيير الضروري ولنا في تجربة ابن باديس أحسن نموذج للاقتداء به مع مراعاة عامل الزمن.

— ونستخلص أيضا أن مجهودات البحث التي تناولت ابن باديس، من قبل، قد جاء فيها الغث، والسمين، ولا بد من اعادة النظر فيها وتنقيتها، حتى لا تبقى بعض الجمل التي تسيء لابن باديس أكثر من تلك التي تبين حقيقته مثل القول: "... انه لأجل اصلاح الدين الطرقي والدين الشعبي قد جاءت الحركة الباديسية"(1) هذا القول، هو واحد من أقوال عديدة، في شكل حقائق خالية من أى سند علمي، لابد من مراجعتها انصافا للعلم، وللتاريخ قبل انصاف ابن باديس في جهاده المستميت ضد المشروع الفرنسي الاستعماري في الجزائر، الذى لولاه، لما كانت الجزائر في الوضع الذى هي عليه من (استقلال) و (حرية)، وطموح شعبي اسلامي، من أجل الأفضل والأطهر، الذى يبقى دائما الغاية الأسمى التي استهدفها ابن باديس من مشروعه التربوي.

---

(1) Ali merad - IBn Badis... p 156

ـ قائمة المراجع ـ

1 ـ ابن منظور ـ جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري لسان العرب ـ طبعة مصورة عن مطبعة بولاق الدار المصرية للتأليف والترجمة .

2 ـ أبو الأعلى المودودي ـ نظام الحياة في الاسلام توزيع ـ دار الجهاد ودار الاعتصام .

3 ـ أبو الأعلى المودودي ـ نظرية الاسلام في السياسة ترجمة : جليل حسن الاصلاحي ـ دار الفكر 1967 .

4 ـ أبو بكر جابر الجزائري ـ كمال الأمية في صلاح عقيدتها دار الشهاب للطباعة والنشر ـ باتنة الجزائر .

5 ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ـ الطبعة الثانية ـ دار الندوة للتوزيع ـ لبنان ـ 1968

6 ـ أبو الصفصاف عبد الكريم ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931 ـ 1945 ـ الطبعة الأولى ـ دار البعث للطباعة والنشر ـ قسنطينة . الجزائر ـ 1981

7 ـ الدكتور : أبو القاسم سعد الله ـ الحركة الوطنية الجزائرية 1900 ـ 1930 ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثانية ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1983

8 ـ الدكتور ـ أبو القاسم سعد الله ـ مدارس الثقافة العربية في المغرب منذ 1830 ـ 1954 ـ مجلة الثقافة العدد 79 ـ 1984

9 ـ أحمد أمين ـ زعماء الاصلاح في العصر الحديث مكتبة النهضة المصرية ـ 1965

10 ـ الدكتور : أحمد بن نعمان ـ مفهوم العروبة عند ابن باديس مجلة الرسالة العدد (2 ـ 3) 1980

11 ـ أحمد بوزيد ـ البناء الاجتماعي ـ مدخل لدراسة المجتمع الجزء

الأول — الدار القومية للطباعة والنشر — 1965

12 — أحمد الجزائري — كيف دخل الفرنسيون الجزائر دار الكتاب الجديد — 1962

13 — أحمد الشيباني — دراسات في العقائد الاسلامية والاشتراكية والشيوعية والصهيونية — دار الكتاب العربي بيروت ومكتبة النهضة بغداد .

14 — أحمد محمود — عمر المختار : الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب — الطبعة الأولى — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر 1353 هـ

15 — أرنولد توينبي — مختصر دراسة التاريخ — ترجمة : محمد شفيق غربال ، ومحمد شبل — الجزء الأول — الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

16 — أنور الجندي — الاسلام والعالم المعاصر — الطبعة الأولى دار الكتاب اللبناني — بيروت — 1973

17 — برتراند راسل — تاريخ الفلسفة الغربية — الجزء الأول ترجمة : زكي نجيب محمود — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة — 1967

18 — بسام العسيلي — عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية الطبعة الأولى - دار النفائس بيروت 1982

19 — بوعلام وباس — الأخلاق عند ابن باديس بين النظرية والتطبيق رسالة ماجستير — معهد الفلسفة — جامعة الجزائر — 1989

20 — توفيق المدني — حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر

21 — توفيق المدني — حياة كفاح — الجزء الثاني — المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر — 1987

22 — الدكتور — جلال يحيى — الاستعمار والاستغلال والتخلف الدار القومية للطباعة والنشر — الاسكندرية — مصر — 1965

23 — الدكتور جمال يحي — السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 — 1959 الطبعة الأولى — دار المعرفة — القاهرة مصر 1959

24 — جون وولف — الجزائر وأوروبا — ترجمة : أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986

25 — الجيلالي صاري والدكتور محفوظ قداش — الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900 — 1954 ترجمة : عبد القادر بن حراث المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر — 1987

26 — حسن عبد الرحمان سلوادي — عبد الحميد بن باديس مفسرا المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر 1988

27 — حمودة سعيدي — مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي — معهد الفلسفة — 1986

28 — الدكتور : حنا غالب — التربية المتجددة وأركانها مطبعة عيتاني الجديدة — بيروت — لبنان 1965

29 — الدكتور : رابح تركي — التعليم القومي والشخصية الجزائرية الطبعة الثانية — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981

30 — الدكتور : رابح تركي — الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر .

31 — راشد الغنوشي — ما هو الغرب — مطبعة فايزي تونس

32 — السيد الباز العريني — تاريخ أوروبا في العصور الوسطى دار النهضة العربية للطباعة والنشر — بيروت — لبنان 1968

33 — سيد سابق — العقائد الاسلامية دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان

34 — سيد قطب — خصائص التصور الاسلامي ومقوماته الطبعة الثانية — 1967

35 — شاتلية — أ . ل . الغارة على العالم الاسلامي ، ترجمة : مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب — الطبعة الثانية منشورات

العصر الحديث — المطبعة السلفية جدة — 1387هـ

36 — شارل جنبيير — المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة : عبد الحليم محمود — المكتبة العصرية — صيدا لبنان

37 — صلاح الدين الجورشي — تجربة في اصلاح — ابن باديس دار الراية مطبعة فايزي تونس

38 — الشيخ — الطاهر بن عاشور — أصول النظام الاجتماعي في الاسلام — الشركة التونسية للتوزيع — الدار العربية للكتاب 1979

39 — الامام الطحاوي — أصول العقيدة الاسلامية اختيار عبد المنعم صالح العلي الغزي — دار الشهاب للطباعة والنشر — باتنة — الجزائر .

40 — طه الهاشمي — تاريخ الأديان وفلسفتها منشورات دار ومكتبة الحياة — بيروت 1963

41 — الطيب برغوث — تصور ابن باديس للمجتمع الاسلامي مجلة الرسالة — العدد (2 — 3) 1980

42 — عباس محمود العقاد — التفكير فريضة اسلامية . الطبعة الأولى — دار القلم

43 — عبد الحميد البطريق — وعبد العزيز نوار — التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا — دار النهضة العربية بيروت 1974

44 — عبد الحميد ابن باديس — آثار الامام عبد الحميد بن باديس الطبعة الأولى — دار البعث للطباعة والنشر — قسنطينة الجزائر 1984 — 1985

45 — عبد الحميد بن باديس — العقائد الاسلامية — تعليق : محمد الحسين فضلاء — دار البعث للطباعة والنشر — قسنطينة — الجزائر .

46 — عبد الحميد بن بلقاسم زيان بن آشنهو — دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر — الطباعة الشعبية للجيش — الجزائر

47 — العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسيني — تهذيب الأخلاق تقديم السيد أبي الحسن الندوي — المكتبة العصرية —

بيـروت —

48 — عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون — الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر للفترة 1920 — 1936 الجزء الأول — المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر 1984

49 — عبد الرحمن بن لسونة — أضواء على التربية والتدريس (بدون معلومات)

50 — عبد الرحمن محمد الجيلالي — تاريخ الجزائر العام الجزء الثاني — الطبعة الثانية — منشورات دار ومكتبة الحياة — بيروت — لبنان — 1965

51 — عبد العاطي جلال — فرنسا في الجزائر — العالمية للطبع والنشر .

52 — الدكتور : عبد العظيم شرف الدين — ابن القيم الجوزية الطبعة الثانية — مكتبة الكليات الأزهرية — مصر 1968

53 — الدكتور : عبد العزيز القوصي — أسس الصحة النفسية الطبعة الخامسة — مكتبة النهضة المصرية 1956

54 — عبد اللطيف شرارة — الموسوعة النفسية — الطبعة الثانية — دار احياء العلوم — بيروت — 1982

55 — عبد الله عبد الدايم — تاريخ التربية — (بدون معلومات)

56 — عبد المتعال الصعيدي — السياسة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين — دار الفكر العربي .

57 — الدكتور — عبد المجيد النجار — خلافة الانسان بين الوحي والعقل — (دون معلومات)

58 — عبد المنعم هاشم — الجماعات بين التنشئة والتنمية (بدون معلومات)

59 — علال الفاسي — الحركات الاستقلالية في المغرب العربي — دار الطبعة المغربية — تطوان — المغرب

60 — علي بن حاله — مرآة الأخلاق — المطبعة العربية بالجزائر

61) علي علواش — حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الاصلاحية — رسالة — لدكتوراه — الدرجة الثالثة — معهد العلوم الاجتماعية — جامعة الجزائر 1983 — 1984

62 — علي مخربي — سرعظمة ابن باديس — مجلة الرسالة العدد (2—3) 1980

63 — عماد شرف — حقائق عن التبشير — الطبعة الأولى المختار الاسلامي — مطبعة أطلس — القاهرة — مصر 1975

64 — الدكتور عمار طالبي — ابن باديس حياته وآثاره الطبعة الأولى — دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر — 1968

65 — الدكتور — عمر بن قينة — شخصيات جزائرية — الطبعة الأولى — دار البعث للطباعة والنشر — قسنطينة الجزائر.

66 — غي دوبوشير — تشريح جثة الاستعمار — ترجمة : ادوارد الخراط — الطبعة الأولى — دار الأدب — بيروت 1968

67 — فتحي عثمان — الدين في موقف الدفاع — مكتبة وهبة

68 — كامل سليمان وعلي عبد الله — التربية — أصولها وطرقها ووسائلها — منشورات مجلة الثقافة بيروت 1965

69 — كليم صديقي : التوحيد والتفسخ — ترجمة : ظفر الاسلام خان — الزهراء للاعلام العربي — 1985

70 — كوبالند — ج — و — الاقطاع في العصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة — الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية 1958

71 — مالك بن نبي — شروط النهضة — ترجمة : عبد الصبور شاهين وعمر المسقاوي — مطبعة المدني — المؤسسة السعودية بمصر — 1961

72 — مالك بن نبي — في مهب المعركة — ترجمة : عبد الصبور شاهين دار الفكر 1986

73 — مالك بن نبي — ميلاد مجتمع — ترجمة : عبد الصبور شاهين دار الفكر — 1986

74 ـ مالك بن نبي ـ وجهة العالم الاسلامي ـ ترجمة : عبد الصبور شاهين ـ دار الفكر ـ 1986

75 ـ محمد أبورية ـ جمال الدين الأفغاني ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ 1961

76 ـ محمد أبو زهرة ـ ابن تيمية ـ دار الفكر العربي ، مطبعة دار الثقافة العربية للطباعة .

77 ـ محمد أبو زهرة ـ في المجتمع الاسلامي ـ دار الفكر العربي

78 ـ محمد أحمد بيومي ـ المجتمع والثقافة والشخصية دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ 1986

79 ـ محمد أبو القاسم حاج حمد ـ العالمية الاسلامية الثانية دار المسيرة .

80 ـ محمد باقر الصدر ـ فلسفتنا ـ الطبعة الأولى ، منشورات عويدات بيروت ـ لبنان 1962

81 ـ محمد خير الدين ـ مذكرات ـ الجزء الثاني المؤسسة الوطنية للكتاب ـ 1990

82 ـ محمد الرسوقي ـ الاسلام والاستشراق ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية ـ 1962

83 ـ محمد سعد أطلس ـ التربية والتعليم في الاسلام الطبعة الأولى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1957

84 ـ محمد شديد ـ منهج القرآن في التربية ـ مكتبة الآداب ، ومطبعتها بالجماهير .

85 ـ محمد الصالح رمضان ـ محافة ابن باديس ـ جريدة الشهاب العدد (1) 1990

86 ـ الدكتور : محمد عبد الرحمن بيصار ـ العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ـ الطبعة الرابعة مكتبة الأنجلو المصرية ـ 1973

87 ـ محمد علي الختيت ـ الغرب والشرق ـ من الحروب الصليبية

الى حرب السويس — الدار القومية للطباعة والنشر — مصر

88 — الدكتور : محمد علي قودة وعبد الرحمن صالح عبد الله المرشد في كتابة الابحاث — الطبعة الرابعة — دار الشروق جدة 1984

89 — محمد علي يوسف — الجفوة المفتعلة بين العلم والدين دار ومكتبة الحياة — بيروت — 1966

90 — محمد قطب — منهج التربية الاسلامية دار الشروق

91 — محمد متولي الشعراوي — منهج التربية في الاسلام دار الشهاب .

92 — محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر — 1973

93 — محمد ناصر — ابن باديس — أسلوبه الصحفي ، مجلة الرسالة عدد العدد (2 — 3) 1980

94 — محمد جمال الدين الجمل — أوروبا في مجرى التاريخ مكتبة النهضة المصرية — 1969

95 — محمود السمرة — غربيون في بلادنا — الطبعة الأولى منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت — 1969

96 — محمود عبد الوهاب فايد — التربية في كتاب الله دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع — تونس

97 — الدكتور — محمود قاسم — الامام ابن باديس . الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية — دار المعارف المصرية 1968

98 — مصطفى الأشرف — الجزائر — الأمة والمجتمع المؤسسة الوطنية للكتاب — الجزائر — 1983

99 — الدكتور — مصطفى خالد ، والدكتور : عمر فاروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية — الطبعة الثالثة — بيروت 1964

100 — معجم العلوم الاجتماعية — تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور — الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975

101 — منية الأزرق — نشوء الطبقات في الجزائر الطبعة الأولى — مؤسسة الابحاث العربية — بيروت لبنان 1980 .

102 — المنجد الفرنسي العربي — دار المشرق بيروت — لبنان — 1972 .

103 - د. السيد وعيش : حسن البنا مؤسس حركة الاخوان المسلمين - ط III - دار الطليعة بيروت 1980

104 — موسوعة المعرفة — اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة مطبعة داغر — لبنان 1971

105 — ماريستون تشرش — الاستعمار الحديث — ترجمة : دولت أحمد صادق — دار مصر — بالقاهرة — مصر

106 — هربرت مولر — التحركات السكانية في تاريخ أوروبا — ترجمة جمال شوقي — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1971 .

107 — هنري كلود وآخرون ... الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي — ترجمة : محمد عيتاني — منشورات مكتبة المعارف — بيروت .

108 — وعلي محمد الطاهر — التعليم التبشيري في الجزائر 1830 — 1904 دراسة ماجستير — جامعة الجزائر — معهد علم النفس وعلوم التربية 1986 .

109 — وليم منتجر — كل شيء عن نفسك — ترجمة : محمد الجزاوي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1962

110 — ويل ديورانت — قصة الفلسفة — ترجمة : أحمد الشيباني الطبعة الثانية — منشورات المكتبة الأهلية — بيروت

111 — الدكتور : يحيى بوعزيز — ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين — الطبعة الأولى — دار البعث — قسنطينة — الجزائر 1980

112 — يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر

113_ Ali Merad : Ibn Badis commentateur du coran ; librairie orientaliste,Paris France 1971

114_ Grand Larousse , librairie Larousse, Paris France

115_ J M Darloise : Officiers en Algerie,Paris 1960

116_ Marcel Egrtaud : Realite de la nation Algerienne , Ed sociales Paris

117_ Walter R Roger : Meridith D Gall: Educational reaserch an introdduction 4th Ed 1983

118_ Saadia et Lakhdar : L'alienation colonialiste et la resistance de la famille Algerienne, la cite editeur copiright , Suisse 1961

محتــــوى البحـــث